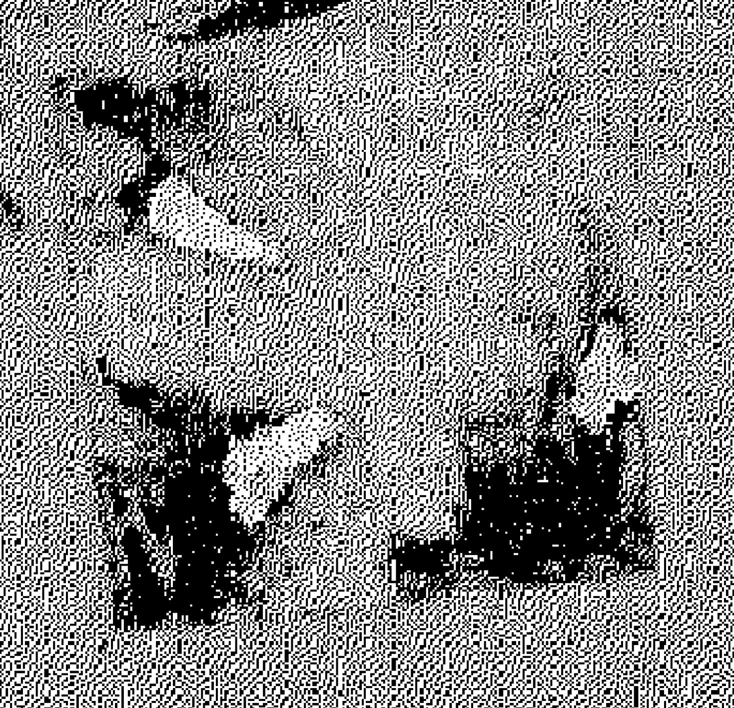
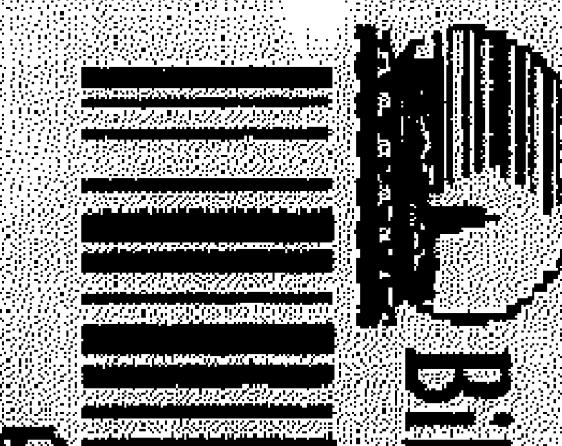


الدكتور عبد اللطيف حمزه

الدكتور وليم الميرى

أخبار الشرق الأوسط
في الصحافة العالمية

الطبعة الأولى ١٩٦١



ملتزم الطبع والنشر : دار الفكر العربي

أخبار الشرق الأوسط
فى الصحافة العالمية

دراسة قام بها معهد الصحافة الدولى بمدينة زيورخ بسويسرا

ترجمة

الدكتور عبد اللطيف حمزة   الدكتور وليم الميرى

الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى

مطبعة الشرق العربي

٧ أبو نبوت بدرب الجماميز
بالسيدة زينب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

قام معهد الصحافة الدولى فى مدينة زيورخ بدراسة قيمة موضوعها « أخبار الشرق الأوسط فى الصحافة العالمية » .

وقد أوضح المعهد فى هذه الدراسة إلى أى حد يمكن استيفاء هذه الأخبار فى صحف العالم أجمع ، وما هى العقبات التى تحول دائماً دون هذا الاستيفاء على الوجه الأكمل، كما لخص الأستاذ والتون كول walton Cole هذه العقبات فى كلمات ثلاث وهى : الرقابة والنفقات والمواصلات .

ورأينا المعهد الدولى ، قد اعتمد فى دراسته هذه على أقوال الكثيرين من رؤساء تحرير الصحف ، ورؤساء الأقسام الخارجية بهذه الصحف ، ومديرى وكالات الأنباء ، والمتخصصين فى شئون الشرق الأوسط من هؤلاء وأولئك ممن لهم صلة كبرى بمهمة الإعلام . ثم ألف هذا المعهد من جميع هذه الإجابات تقريراً عظيم الشأن ، أو قصة بارعة الحبك تحكى حياة المراسل الأجنبى فى بلاد الشرق الأوسط ، وتصف متاعبه وتشرح المهمة التى أوفد من أجلها إلى تلك البلاد

وكيف أنه لا يستطيع أن يؤديها على الوجه المراد .

وجاءت كل هذه الإجابات رداً على أسئلة كان قد أعدها المعهد وتوجه بها إلى هؤلاء المراسلين فى هذا الموضوع الهام ؛ وهو « استيفاء أخبار الشرق الأوسط فى الصحف الأجنبية » .

وقد انصبت هذه الدراسة بوجه خاص على الفترة التى امتدت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٥٤ . وهى فترة هامة وحاسمة فى تاريخ هذه المنطقة التى وقعت فيها طائفة من الأحداث الخطيرة .

فنحن نعرف أنه عقب الحرب العالمية المذكورة ، قامت حركات تحررية كثيرة شملت معظم بلاد هذه المنطقة التى كان بعضها لا يزال خاضعاً للحكم الأجنبى أو السيطرة الأجنبية بطريقة أو بأخرى . وفى أثناء تلك الفترة أيضاً وقعت الحرب الفلسطينية التى انتهت باغتصاب الأرض العربية من أهلها العرب وتشريدهم وإفساح المجال لإنشاء دويلة صغيرة - هى إسرائيل — أو هذه الدويلة التى لا تبرح تستجدى وجودها وتعتمد فى كيانها على الدول الكبرى .

وهكذا وقعت فى هذه الفترة التى نشير إليها تغييرات سياسية هامة فى كل من مصر وسوريا ولبنان وإيران .

والذى لا شك فيه أن الصحافة العالمية لم تزل تتهم بالتقصير الشديد من حيث العناية بأخبار هذه المنطقة . وبقيت الصحافة

العالمية على ذلك حتى انتهت الحرب العالمية الثانية بما اقترنت به هذه الحرب من أحداث جسام ، وما أحدثته من تغييرات على جانب كبير من الخطورة . وإذ ذاك فقط ، أت الصحافة العالمية تبدى اهتماماً خاصاً بأخبار هذه المنطقة وبأحوال البلاد التى تتألف منها . وهذه البلاد هى : إيران والعراق وسوريا ومصر والأردن ولبنان والعربية السعودية واليمن والسودان وإسرائيل فى نهاية المطاف .

وقد استبعدت تركيا من هذه الدراسة لأن ارتباطها بأوربا أشد فى الحقيقة من ارتباطها بالشرق الأوسط ؛ وذلك على الرغم من العلاقات التاريخية والدينية التى تربطها بأكثر بلاد الشرق الأوسط .

* * *

وعلى هذا فالكتاب الذى بين أيدينا الآن عبارة عن مجموعة الأحاديث التى قام بها معهد الصحافة الدولى بمدينة زيورخ ، أو الإجابات التى حصل عليها هذا المعهد من المشتغلين بالإعلام على نحو ما قدمنا .

وقد سجل المعهد هذه الإجابات فى شكل تقرير عام نشره باللغة الإنجليزية . ومنذ حصلنا على نسخة من هذا التقرير أحسسنا برغبة شديدة فى نقله إلى اللغة العربية واثقين من الفائدة العظيمة التى ستعود على المهتمين بالصحافة والإعلام فى الجمهورية العربية المتحدة خاصة والعالم العربى عامة .

غير أننا لم نشأ أن ننقل هذا التقرير بالشكل الذى ظهر به فى

نسخته الإنجليزية ؛ بل آثرنا أن نتناوله بشيء من التصرف ، لا من حيث المضمون ولكن من حيث التقسيم والتبويب .

ومعنى هذا باختصار شديد أننا جعلنا من هذا التقرير مادة كافية لإصدار كتاب في موضوع (أخبار الشرق الأوسط في الصحف العالمية) بحيث يكون لهذا الكتاب أبواب ، ولهذه الأبواب فصول ، ولهذه الفصول عناوين جانبية . وبهذه الطريقة تسهل قراءته وتتحقق الفائدة المرجوة منه .

ومن ثم رأينا أن نقسم هذا الكتاب إلى بابين كبيرين :

الباب الأول

وموضوعه استيفاء أخبار الشرق الأوسط ويحتوى على ستة فصول :

أولها : وبمثابة مقدمة تصف طبيعة المنطقة من النواحى الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والسياسية ووصف الظروف التى لا بد أن يقابلها المراسل الأجنبي فى هذه البلاد ولا مفر من أن تترك أثرها فى عمله وفى عمل وكالات الأنباء التى يتصل بها .

وثانيها : موضوعه الرقابة التى تفرض على الصحف ، والتى يعانى منها المراسل الأجنبي كثيراً من المتاعب .

وثالثها : فى وصف المصاعب التى يكابدها المراسل الأجنبى فى الانتقال من مكان الى مكان فى هذا الشرق الأوسط الذى يجهله ولا يكاد يتعرف إليه إلا بعد جهد ومشقة .

ورابعها : فى إمكان الحصول على الأخبار .

وخامسها : فى وصف بقية المتاعب الأخرى التى يعانى منها المراسل الأجنبى فى الشرق الأوسط . كالنفقات الكثيرة التى لابد منها فى الحصول على الأخبار، والغلاء الذى يكابده المراسل الأجنبى فى تلك البلاد .

وسادسها : فى موضوع استيفاء الأخبار — أو بعبارة أخرى — الكلام عن مصدر الأخبار بالقياس إلى الصحف تارة ،وإلى وكالات الأنباء تارة أخرى . وعند ذلك ينتهى الباب الأول أما :

الباب الثانى

فموضوعه المآخذ التى يأخذها المعهد على استيفاء أخبار الشرق الأوسط فى الصحف العالمية . ويحتوى هذا الباب على ستة فصول :

يهتم الفصل الأول منها بإظهار النقص فى كمية الأخبار ، أو قلة المساحة ، أو ضيق الحيز الذى تخصصه الصحف الأجنبية لأخبار الشرق الأوسط عامة .

وناني هذه الفصول يتحدث عن التقصير الشديد فى تفسير الأخبار والتعقيب عليها والعدول نهائياً عن ذلك أحيانا فى كثير من الصحف الهامة .

ويحدثنا الفصل الثالث من فصول هذا الباب حديثاً هاماً عن التفاوت فى استيفاء هذه الأخبار من بلد إلى آخر من بلاد هذه المنطقة الى هى موضوع البحث .

أما الفصل الرابع من هذا الباب فنجد فيه بحثاً فى اختلاف مستويات الأخبار فى هذه المنطقة ، فهناك تفاوت فى مستويات هذه الأخبار، وطرق عرضها ؛ فهناك الصحف التى تعرض هذه الأخبار على مستو عال وهناك الصحف التى تعرضها على مستو منخفض وهكذا .

وفى الفصل الأخير من فصول هذا الباب نجد اهتماما بمعالجة أخبار المنطقة وفى نهاية آخر هذا الفصل عرض لآراء رؤساء تحرير الصحف فى النتائج التى وصل إليها المعهد من هذه الدراسة .

أما الخاتمة فعبارة عن خلاصة للنتائج التى وصل إليها المعهد الدولى من وراء دراسته هذه . كما تتضمن بعض المقترحات التى أوصى بها المعهد لمعالجة هذه العيوب والمآخذ التى خرج بها .

* * *

الحق لقد دعتنا أمور كثيرة إلى ترجمة هذا الكتاب . ومنها

ما لاحظناه من غلبة الطابع العلمى والصفة الموضوعية .

إذ هو يصف لنا ما هو كائن بالفعل . ويبنى هذا الوصف على أقوال المشتغلين بالإعلام كما بينا . وهم بين جامع للأخبار ، ومعلق عليها ، ومفسر لها ، وكاتب للمقال ، ومهتم بالأحاديث والتحقيقات ، ومسئول فى إحدى الوكالات ومتخصص فى أخبار هذه المنطقة وهكذا .

كما نجد أيضاً فى هذه الدراسة التى قام بها المعهد فرصة طيبة للمشتغلين بوظائف الإعـــلام ليؤلفوا لأنفسهم فكرة صحيحة عن مشكلة هامة من مشكلات الصحافة الحديثة هى مشكلة استقصاء الأخبار الخارجية لمنطقة ذات أهمية كبيرة كمنطقة الشرق الأوسط .

ثم من هذه الدواعى التى دعتنا إلى ترجمة الكتاب اليه على أنه مرجع من المراجع التى لا يستغنى عنها جميع المشتغلين بمصلحة الاستعلامات ووزارة الثقافة والإرشاد ، وذلك فضلا عن طلبة الصحافة بجامعة القاهرة ، وغيرها من المعاهد التى تدرس هذه المشكلة .

فإذا استطاع هذا الكتاب أن يحقق الفائدة المرجوة لجميع هؤلاء فذلك من توفيق الله ، وإلا فقد أردنا الخير كما أملته علينا ضمائرنا

ووطنيتنا لاستكمال نواحى النقص فى المراجع العربية الخاصة بدراسة الإعلام فى جمهوريتنا .

* * *

بقيت مسألة نحب أن ننبه إليها القارىء ، وهى أن هذه الدراسة حددت نفسها بالفترة بين عامى ١٩٤٠ — ١٩٥٤ .

والذى لا شك فيه أن كل شىء قد تغير تقريباً فى بلاد المنطقة بعد هذه الفترة . بل إن كثيراً من الظروف التى يعيش فيها المراسلون الأجانب قد نالها شىء من التغيير كذلك .

ومعنى هذا أننا يجب أن نحمل العبارات الواردة فى هذا الكتاب على زمانها وإن كان زمانها قريباً منا على هذا النحو .

وعلينا كذلك أن نمر مر الكرام ببعض عبارات خاصة وننظر إليها نظرة تاريخية خالصة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .

بهذه الروح نرجو أن يقرأ هذا الكتاب الذى نرجو أن ينير الطريق أمام الباحث العربى .

وبهذه الروح ينبغى أن تفهم الحقائق التى اشتمل عليها الكتاب، وعن هذا الطريق السليم يمكن أن يستفاد من هذا البحث الذى نقدمه للقراء؟

عبد اللطيف حمزه   وليم الميرى

يوليه سنة ١٩٦٠

الباب الأول

استيفاء أخبار الشرق الأوسط

فى الصحافة العالميـــة

الفصل الأول
طبيعة المنطقة

لا ريب أن المراسل الذى تبعثه جريدته إلى الشرق الأوسط يجد نفسه أمام عقبات كثيرة ؛ أهمها المسافات الشاسعة التى تفصل بين دول المنطقة والتى تزيد من إرهاقه . فدونه أكثر من ألفى ميل بين المملكة المغربية غرباً ، وإيران شرقاً ، ودونه مثل هذه المسافة تقريباً بين تركيا شمالا وعدن جنوباً .

ثم إن منطقة الشرق الأوسط تضم سبع دول عربيـــة ، وإمبراطورية إيران ، وعدداً من الإمارات والمشيخات العربية ، وتتطفل إسرائيل على هذه المنطقة ، فهى تقع على جزء من الأرض العربية . وهى أى إسرائيل من الناحية الإعلامية مشكلة قائمة بنفسها . لأن حالة الحرب لا تزال قائمة بينها وبين البلدان العربية التى تحيطها من كل جانب .

على أن وسائل المواصلات فى المنطقة حسنة نسبياً . وذلك باستثناء الجزيرة العربية . ويستطيع المراسل الأجنبى التنقل بالطائرة بين أطراف هذه المنطقة . وكذلك نجد أن الاتصالات البرقية ميسرة بين بلدان المنطقة وعواصم الغرب جميعاً .

ولكن مهما توافرت سبل السفر والاتصالات فعلى المراسل أن يكون نشيطاً إلى أقصى حد ، فى أجواب لا تساعد على النشاط حتى يستطيع أن يوافى جريدته بأخبار الشرق الأوسط أولا بأول .

ينبغى على المراسل دائما أن يحافظ على نشاطه البدنى ، ونشاطه العقلى على السواء . فهو فى أوربا يقف على التطورات المختلفة بواسطة الصحف المحلية . ويساعده على عمله هناك معرفته بإحدى لغات أوربا الرئيسية . أضف إلى هذا أن أسلوب حياته لا يختلف عن أسلوب الحياة التى ينقل أخبارها ، ولديه معلوماته أو خبرته التى تمكنه من فهم حقيقة المواقف هناك فى أسرع وقت ممكن .

ولا يجد المراسل الأجنبى — على الأول خارج إسرائيل — شيئاً من هذه المعالم . والكثرة من المراسلين ليسوا من أهل هذه البلاد . والمراسل يجد نفسه فى منطقة تختلف حضارة وثقافة عن حضارة بلده وثقافته ، كما يجد نفسه فى جو يترك أثره فى كل قصة يكتبها . واختلاف الحضارة بين الشرق والغرب يجعل من الصعب على المراسل الغربى أن يفهم هذا الشرق فضلا عن تقريبه من القارىء فى بلاده .

فمثلا يستطيع المراسل فى أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية أن يفسر اتجاهات الرأى العام ، وأن يتتبع تفاعل القوى السياسية المختلفة . أما فى الشرق الأوسط فالرأى العام هو رأى

أقلية مستنيرة من سكان المدن . والسياسة هناك مقصورة على الشخصيات الكبيرة ، وصحافة أكثر بلدان الشرق الأوسط قد نمت إلى حد يسمح لها بتوجيه الرأى العام توجيهاً أولياً ، وإن كانت مقاييس الرأى عندها لا تزال عاجزة نسبياً . ولما كانت الصحف تصدر باللغة العربية ، باستثناء بعض الصحف الأوربية القليلة الشأن ، لم يستطع المراسل الأجنبي الاطلاع على تلك الصحف . وإذا كان يعرف اللغة العربية فلابد أن يكون متضلعاً فيها حتى يستطيع أن يقرأ ما بين السطور ليعلم ماذا يجرى من الأمور ، ولما كانت هناك بعض صحف فى بلدان الشرق الأوسط تعتمد مالياً على مصادر خفية كان على المراسل الأجنبي أن يعرف من الذى يدفع هذه الأموال ؟ ولماذا يدفعها للصحيفة ؟

غير أن ذلك كله لا يفت فى عضد المراسل الأجنبي ؛ وهو رجل ذو عزم ، وسرعان ما يستطيع أن يترجم أسرار السياسة فى الشرق الأوسط إلى لغة مفهومة ، وإن وجد نفسه فى بعض الأحيان محتاجاً إلى تبسيط الأخبار بحيث يرضى عنها المحرر المسئول فى جريدته ، ويرضى عنها كذلك قارىء تلك الجريدة .

على أننا يجب أن نعلم أن اهتمام القراء خارج المنطقة محدود ، ولا ينتظر منهم أن يتتبعوا أخبار الشرق الأوسط : اللهم إلا إذا كانت هناك ثورة أو حادث اغتيال سياسى ونحو ذلك .

والمراسل الأجنبي بعد كل هذا مضطرا إلى أن يواجه مايواجه غيره من المراسلين فى أية منطقة من مناطق العالم . والحيز الذى ينشر فيه أخباره حيز محدود للغاية ما لم تكن الأخبار من الأهمية والإثارة بحيث تنشر فى الصفحة الأولى . والصحف التى تجعل للشرق الأوسط أهمية توازى أهمية واشنطن وباريس ولندن صحف قليلة جداً ، وليس هناك إلا القليل من الصحف التى تهتم أو تواصل هى وقراؤها تتبع أحداث الشرق الأوسط يوماً بعد يوم .

وهكذا يجد المراسل أن تفسيره لإلغاء المعاهدات ، وقتل الزعماء يُنشر فى أسطر قليلة أو لا ينشر على الإطلاق .

ولكن مهما يكن من شىء فلا بد أن تنقل أخبار الشرق الأوسط نقلا كاملا وأميناً ، فكما قال رئيس تحرير إحدى الصحف الهندية : « للشرق الأوسط أهمية كبيرة ظاهرة ، فمن الواضح أن توازن القوى فيه يختل أو يترك فراغاً كبيراً فى الوقت الذى تزداد فيه أهمية الشرق الأوسط من الناحيتين الإستراتيجة والتجارية » .

وكما قال مراقب عليم ببواطن الأمور : « يعتبر كثير من الخبراء أن الشرق الأوسط هو الميدان الذى يختبر فيه كل من العالم الحر والاتحاد السوفيتى قدرته على كسب المعركة التى تهدف إلى تأييد البلاد المتخلفة فى أفريقيا وآسيا لأحد المعسكرين .

والواقع أن الشرق الأوسط أحد مراكز العالم الاستراتيجية الرئيسية . فهو القاعدة العسكرية بين الغرب والشرق الأقصى ، وفيه رصيد ضخم من البترول . وقد أظهرت حربان عالميتان أن الدفاع عنه أمر بالغ الأهمية ، وقد رأينا أن المناورات الدبلوماسية لا تنقطع فى وقت السلم لكسب صداقة زعمائه بقصد التأثير على سياستهم الخارجية .

ومن هنا نجد أن الإخبار عن أى تغيير سياسى فى هذه المنطقة له تأثير هام فى علاقات الشرق الأوسط ببقية العالم ، وأنه يظفر بالعناوين البارزة فى صحف العالم كلها على السواء .

ثم إنه فى الخمسين سنة الماضية ظهر عامل جديد زاد فى قصة الشرق الأوسط خطوطاً جديدة ، وجعل منها قصة معقدة بالمعنى الصحيح ، فظهور القومية العربية ، والتعقدات التى طرأت بسبب قيام الوطن الصهيونى ، كل ذلك قد زلزل حق الدول الأجنبية فى فرض سياستها على دول الشرق الأوسط . وفى خلال تلك الفترة ظهر زعماء جدد ، وتدخلت قوى جديدة ، وأحاطت بالمنطقة ظروف مخالفة للظروف السابقة كل المخالفة .

لقد وطدت الحرب العالمية الثانية العلاقات بين الشرق الأوسط وبقية العالم ، كما غيرت من طبيعة تلك العلاقات ، ولقد تغيرت المنطقة فى السنوات العشر الأخيرة تغييراً كاملا ، سواء من الناحية

العقلية ، أو من ناحية النظم الدستورية ، بحيث أصبح على الذين لهم مصالح فى الشرق الأوسط أن يغيروا أفكارهم القديمة ، وأن يلائموا بين آرائهم وبين التطورات الأخيرة .

وأما هذه التطورات فإنها تنبع من بضع حقائق أساسية ، أولاها الاستقلال الذى حصلت عليه كل من مصر والعراق والأردن ولبنان وسوريا وليبيا والسودان وإسرائيل وإيران ؛ فى الوقت الذى خرجت فيه العربية السعودية واليمن والكويت من نظام حكم الأمراء والشيوخ [1] .

وقد أدى استقلال البلاد العربية إلى كف السيطرة الأجنبية على حكومات الشرق الأوسط ، كما أدى إلى خلق نوعين من الرأى العام : أحدهما حقيقى والآخر مزيف يعتمد على الدعاية الرسمية فى الصحف والإذاعة وغيرهما من الوسائل التى تملكها الحكومات أو تخضع لإشرافها أو رقابتها . وأدى الاستقلال كذلك إلى تحقيق سيادة تلك الدول على أراضيها التى يتدفق منها البترول وتمر فيها أنابيبه .

وهناك تغيير آخر له أهميته كذلك وتعنى به إنشاء جامعة

---

(١) فى الأصل : النظام الاقطاعى Feudal ولكن خوفا من اللبس على القارىء آثرنا أن تكون الترجمة على هذا النحو : حكم الامارات والشياخات وزعماء القبائل .

الدول العربية التى تضم مصر والعراق والأردن ولبنان وسوريا والعربية السعودية واليمن وليبيا والسودان ، وتجد لقرارات الجامعة العربية وبياناتها صداها الواسع فى العالم ، وهذا يعنى أن آمال العرب أصبحت لأول مرة معروفة لكثير من الدول الغربية التى كانت تجهلها أو تتجاهلها من قبل تجاهلا يوشك أن يكون تاماً .

وهناك التغيير الثالث وهو قبول الدول العربية المستقلة أعضاء فى هيئة الأمم المتحدة . ولم يزد هذا من مكانة تلك الدول فى الميدان الدولى فحسب ولكن أتاح لها الفرصة لكى تعبر عن آمالها وآلامها من فوق منبر الهيئة الدولية وبخاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين ، وذلك فضلا عن أن عضوية الأمم المتحدة جعلت العرب على اتصال دائم بالدول الشرقية مما أدى إلى تكوين ما يعرف باسم الكتلة الآسيوية الأفريقية .

كل هذه التغييرات جعلت للشرق الأوسط والعالم العربى مكانة خاصة تختلف من مكانته السابقة . وزادت فى الوقت نفسه من مسئولية ممثلى الصحف ومندوبيها الموجودين فى هذه المنطقة نحو تسجيل تطوراتها يوماً بعد آخر .

وقبل أن نبدأ فى مناقشة استيفاء أخبار الشرق الأوسط نجد من الضرورى أن نفحص عن كثب طبيعة القيود التى يعمل فى ظلها المراسل الأجنبى فى الشرق الأوسط ، وإن كانت الظروف

القاسية فى هذه المنطقة لا تمنع من نقل الأخبار نقلا كاملا أمينا على خلاف ما يحدث وراء الستارين الحديديين السوفيتى والصينى .

والواقع أن السعى وراء الخبر فى الشرق الأوسط ونقله إلى وكالة أنباء أو صحيفة تعوقه عوائق تضعها حكومات الشرق الأوسط فى بعض الأحيان . وإذا ما نشر الخبر فى الجريدة فقد يكون لنشره آثار غير سارة بالنسبة إلى المراسل .

فالرقابة بأشكالها المختلفة ، وتأشيرة السفر ، والتأخير فى السماح بها ، ومصاعب الحصول على الأخبار فى ذاتها ، وغير هذه وتلك من الصعاب التى تعترض المراسل الأجنبى أمور مألوفة فى الشرق الأوسط ، تلجأ إليها حكوماته لمنع نشر أى خبر أو قصة غير مرغوب فى نشرها لسبب أو لآخر .

الفصل الثانى

الرقابة

تتميز الرقابة فى الشرق الأوسط بتعددأشكالهاوتنوع الظروف المحيطة بها ، وتفاوت مددها . فهى تختلف من بلد لآخر ، ومن وقت لآخر فى البلد الواحد .

ومع هذا وذاك فقد أجمع المراسلون الأجانب على تفضيل الشكل الرسمى من أشكال الرقابة ، لأن هذا الشكل على الأقل يتيح لهم الفرص لمناقشة النقط المختلف عليها . وقد ينتهى الخلاف بين المراسل والرقيب عند مجرد تغييرلفظ أوتفسير آخر ونحو ذلك .

وعند الموافقة على النص المعدّل ترسل البرقية فوراً إلى الجهة التى تقصد إليها .

غير أن الطابع العام للرقابة فى الشرق الأوسط يجعل منها رقابة غير مباشرة ، فقد تترك المراسل فى حيرة من أمرها . ومن النادر أن تصدر السلطات المسئولة قائمة بالموضوعات الممنوعة ليسترشد بها المراسل . وكثيراً ما يكون قرار المنع أو الحذف صادراً عن رقيب معين لم يستطع المراسل أن يتفاهم معه بحال ما ،

وفى بعض الأحيان يستغرق البت فى أمر برقية من البرقيات وقتاً طويلا يؤخر وصولها إلى البلد الذى يريده المراسل ؛ فيفقد الخبر نفسه صفة الحالية أو الجدة الزمنية . وقد ذكر عدد من المراسلين أن التأخير امتد فى بعض الأحيان إلى ٢٤ ساعة كاملة . ولخص مراسل أمريكى « تعود أن يزور المنطقة ما بين ١٩٤٥ ، ١٩٥٢ » متاعب الرقابة غير المنظورة بقوله : كانت متاعبي مستمرة سواء وجدت الرقابة أم لم توجد . فيبدو أن من الصعب إرسال البرقيات التى لا ترضى عنها السلطات المسئولة بحال ما .

وخلال السنوات العشر الأخيرة لاحظ المراسلون تغيراً فى الغاية من فرض الرقابة فى الشرق الأوسط ، وقد أدى هذا التغيير إلى مزيد من المشكلات والمتاعب فى طريق المراسلين الأجانب . وهم يقولون إن الرقابة كانت تفرض قبل الحرب الفلسطينية بين العرب واليهود لأسباب محلية ، فكانت الحكومات تمنع وصول الأخبار غير المرغوب فيها إلى داخل البلاد ، فى الوقت الذى لا تمنع فيه الأخبار غير المرغوب فيها من الانتقال إلى خارجها .

ولكن الحرب الفلسطينية غيرت رأى الزعماء العرب فى بعض دول العالم ، وجعلت لها نوعاً من الحساسية الدقيقة تجاه ما ينشر عنها فى الخارج .

إلا أنه فى هذه الفترة نفسها جدّت عوامل كانت فى صالح

المراسل . فقد فطنت الحكومات إلى تخفيف الرقابة على الأخبار التى لا بد أن تظهر فى الخارج لأنها كانت تجد أن الأخبار التى تمنع من خروجها كانت تخرج وتنشر على نحو مبالغ فيه ، وبألوان أكثر مما تحتمله الحقيقة . ولذلك ساعدت على نشر الأخبار الصحيحة التى تعبر عن وجهة نظرها .

وقد دلت التجربة على أن الأخبار غير المرغوب فيها تتسرب إلى الخارج فى سرعة سواء كانت عن طريق رسمى أو غير رسمى .

فمثلا عندما أحرق جزء من القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ وصلت أنباء الحريق بالجو عن طريق روما . والذى حدث أن طائرة قامت بعد ظهر ذلك اليوم وكان فيها أحد نزلاء فندق شبرد من كانوا موجودين فى الفندق عندما أشعلت فيه النار . وفى الوقت نفسه تمكن مراسل من أن يذهب بسيارته إلى القاعدة البريطانية فى منطقة القناة ويبعث بأخبار الحريق إلى لندن باللاسلكى .

وقد أشار أحد الذين شاركوا فى هذه الدراسة إلى أن فترات فرض الرقابة على البرقيات كانت قصيرة . ولم يكن تأثيرها على تغطية أخبار المنطقة خطيراً خطورته فى بلدان أخرى . بل كان أكثر حيطة ، وأقل حساسية من ناحية الأخبار .

وأيد أحد مديرى وكالة أنباء أمريكية هذا الرأى بقوله : منذ ١٩٥٣ تحسن موقف الرقابة فى الشرق الأوسط على وجه العموم ،

وإن كان لم يتحسن تحسناً كبيراً فى العربية السعودية والعراق .

وأياً كان الأمر فقد تغير نظام الرقابة التلغرافية ، والتليفونية والبريدية . أما الرقابة المفروضة على الصور فهى فى رأى المراسلين تعوق عملهم فى الشرق الأوسط وبخاصة عندما تقع أحداث هامة .

وقبل أن نتكلم عن الرقابة فى كل بلد من بلدان الشرق الأوسط يجب أن نقول شيئاً عن الرقابة على الصحف المحلية ما دامت الصحف المحلية أحد مصادر الإعلام الطبيعية التى يعول عليها المراسل الأجنبي .

وخضعت الصحف فى أكثر بلدان الشرق الأوسط للرقابة منذ عام ١٩٣٩ ، ومنذ ذلك التاريخ والفترات التى تمتعت فيها الصحف بالحرية فترات قليلة وقصيرة فى وقت معا .

فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اعتبرت الحرب الفاسطينية عام ١٩٤٨ مبرراً لفرض الرقابة من جديد . واستمرت الرقابة بسبب الأعمال العدوانية والأزمات السياسية بين العرب واليهود .

والرقابة الداخلية فى العادة أشد من الرقابة المفروضة على المراسلين الأجانب ، وذلك لأسباب خاصة : أولها أن الصحف المحلية

تميل إلى أن تسلك سلوكا لا تقدر فيه مسئولياتها [1] ، وثانيها أن أكثر بلاد الشرق الأوسط تمر الآن بفترة تطور وتقلبات ثورية ، وثالثها أن الديموقراطية فيها لم ترس بعد على أسس متينة وسليمة ، ورابعها أن تفش الأمية هناك يجعل من الصعب تطبيق الديموقراطية تطبيقاً عملياً ، فالديموقراطية فى بلدان الشرق الأوسط مطبعة لفظاً لا عملا . ولذلك تفرض الرقابة فى الميدانين السياسى والاقتصادى لمنع نشر الأخبار غير المرغوب فيها أو تسربها إلى الخارج .

وهكذا يتظاهر الطلبة ، ويضرب العمال ، وتجرى الاعتقالات السياسية والتحقيقات الرسمية ، ولا يشار إلى شيء من هذا فى الصحف المحلية ، وإن وجدت إشارة فهى إشارة مقتضبة لا تغنى شيئاً .

مصر

الرقابة فى مصر ، كما فى غيرها من بلدان الشرق الأوسط من مخلفات الحرب العالمية الثانية ، وقد أعقب تلك الحرب فترة رفعت فيها الرقابة أو خفضت بعض الشيء . ولكن عندما نشبت الحرب فى فلسطين فى سنة ١٩٤٨ أعيدت الرقابة واستمرت إلى وقت القيام بهذه الدراسة مع تفاوت فى شدتها . ومن المصاعب

(١) يعلق مراسل فرنسى على ذلك بقوله : إن الفترات القصيرة التى كانت ترفع فيها الرقابة فى مصر كانت تتميز باللهجة العنيفة التى فتنت بها الصحف ، وقد ذهبت بعض الصحف فى تلك الفترات إلى حد التحريض علناً على القتل .

التي كانت تواجه المراسل الأجنبي أن تعليمات الرقابة لم تكن محددة الأمر الذي كان يترتب عليه أن الرقيب كان يتصرف حسب رأيه الشخصي، وحسب ما يتصور وما ينبغي أن يكتب ، وحسب رغبة الحكومة فيما يكتب وينشر .

والشكوى الخاصة من الرقابة المصرية أنها كانت مبهمة . وقال أحد المراسلين الأمريكيين : لقد كان بيني وبين الرقباء المصريين في النصف الثاني من سنة ١٩٤٨ مشكلات تكاد تذهب بالعقل ، لقد كانت معلوماتهم ناقصة ، فلم يكونوا يعرفون أن الأخبار التي يمنعونها أخبار شائعة في العالم كله . ولم يكونوا يضعون قوائم للممنوع من النشر ، وكانوا يمتنعون عن إبلاغ المراسل الأشياء التي حذفوها من برقياته قبل السماح بإرسالها مما لم يتح الفرصة للمناقشة في تعديل تلك البرقيات . ومع أن الرقابة كان مقصوداً بها الأخبار ذات الصبغة العسكرية ، فإن الغرض الحقيقي هو حذف كل ما لا ترغب حكومة ذلك العهد في نشره في العالم . وحدث مرة أنني أرسلت برقية من ١٥٠٠ كلمة فلم يصل منها إلا بضع كلمات والباقي حذفه الرقيب ، ولم أعرف هذا إلا بعد أن أبلغني ذلك مكتب الوكالة في الخارج » .

وبلغ بالرقابة أنها كانت تتناول بالتغيير كل رسالة ترسل إلى خارج مصر سواء كانت تشير إلى حرب فلسطين أو لا تشير . ومن المضايقات

التى كان يتعرض لها المراسلون وقتئذ تأخير برقياتهم ، واستدعاؤهم بواسطة البوليس لتفسير بعض ما ورد فى برقيـاتهم . وقد دهش أحد المراسلين مرة عندما وجد أن برقيته تأخرت أسبوعاً مع أنها كانت تتصل بملـكة جمال استراليـة التى عادت إلى بلادها بسبب دعوى طلاق أقامها زوجها .

وبالتدريج خفت الرقابة على المسائل المتصلة بإسرائيـل حتى أصبح المراسلون لا يشكون بسببها إلا قليلا . وفى الوقت نفسه اشتدت الرقابة على الأخبار المحلية ، وفى سنة ١٩٤٩ وضع الرقباء فى دور الصحف ومكاتب الأنباء ، وظلوا حتى سنة ١٩٥٠ ، وأعيد الرقباء فى أوائل سنة ١٩٥٢ عندما أعلنت الأحكام العسكرية بعد حريق القـاهرة . ورفعت الرقابة الداخلية ثانية فى ٧ مارس سنة ١٩٥٤ لمدة ثلاثة أسابيع وأعيدت فى ٢٩ مارس من السنة نفسها .

ولما جاءت حكومة الثورة أبعدت الرقباء من مكاتب وكالات الأنباء الأجنبية نهائياً .

وفى السنوات التى سبقت قيام الثورة لم يكن معروفاً على وجه اليقين ما هى الموضوعات التى تخضع للرقابة باستثناء أخبار القصر التى كان يجب عرضها على رجال القصر ، وباستثناء أخبار القوات المسلحة التى كانت ممنوعة منعاً باتاً .

وكان القانون يحتم عرض الأخبار التى تشير إلى الملك فاروق

على وزير الداخليـة الذى كان يمنع أى خبر فيه مساس بالملك ، كما يمنع الأخبار التى تتناول تدخل الملك فى السياسة . ولما كانت الأخبار وقتئذ تدور حول الصراع بين الملك السابق فاروق وحزب الوفد فقد جعلت الرقابة من الصعب على المراسل أن ينقل فى أخبـاره صورة كاملة للموقف .

وكان المراسلون يحملون برقياتهم إلى الرقباء ليناقشوا معهم النقط المختلف عليها متى سُمح لهم بذلك . وكان هذا يفيد المراسلين لأن شدة الرقابة كانت تختلف من رقيب إلى رقيب . وكان يحدث أن برقيته يجيزها رقيب الصباح ، ويمنعها رقيب المساء .

وعندما عاد الوفد إلى الحكم سنة ١٩٥٠ رفعت الرقابة نظرياً ، ولـكنها ظلت عملياً لحماية مصالح الوفد والقصر . وهناك حادث يصور الصعوبة التى كان يعانى منها المراسل عندما يريد أن يعرف ماذا يستطيع أن ينقل من أخبار . فقد أصـدر وزير الخارجية وقتئذ بياناً سمح لإحـــدى وكالات الأنباء بإذاعته فى الخارج ، ولـكن الرقيب أوقف إرسال البرقية حتى يعرضها على وزير الداخلية الذى أمر بمنعها .

وفى خريف سنة ١٩٥١ بلغ تحكم الرقابة ذروته بسبب ما كان يحدث فى منطقة قناة السويس عقب إلغـــاء المعاهدة البريطانية

المصرية ، وكان الرقباء يضيفون إلى البرقيات أشياء من عندهم ، ويحذفون أشياء أخرى .

ويقول مراسل إن الأمر كان يتم فى سهولة . ومن أمثلة ذلك أن فؤاد سراج الدين وزير الداخلية وقتئذ أعلن أن المظاهرات المعادية لبريطانيا اشترك فيها مليون شخص . وكان تقدير المراسل للمتظاهرين يتراوح بين ١٥٠ ألف و ٤٠٠ ألف . ولكن الرقيب حذف تقدير المراسل وأبقى تقدير الوزير مع عدم الإشارة إلى أنه تقدير رسمى بحيث يوحى أنه تقدير المراسل نفسه . ومثل آخر : قدر مراسل جريدة أمريكية عدد القوات البريطانية فى منطقة القناة بضعف العدد الذى سمحت به المعاهدة البريطانية المصرية . ولكن الرقيب جعل التقدير عشرة أمثال العدد الأصلى .

وظلت الرقابة على حالها من التحكم والتخبط حتى سنة ١٩٥٢ عندما أحرقت القاهرة ، ومنعت الأخبار منعاً باتاً لعدة أيام .

وفى الأسابيع السابقة للثورة عكست الرقابة الصارمة صورة من التخبط الذى كان عليه الموقف السياسى .

وعندما تدخل الجيش ليقوم بثورته كان أول مبنى احتله الجنود هو مبنى ماركونى مقر الإرسال اللاسلكى فى القاهرة

ووضع فيه رقيباً عسكرياً كانت تنقصة الخبرة اللازمة فى ذلك الوقت .

وفى أغسطس سنة ١٩٥٢ تولى على ماهر الحكم تحت إشراف مجلس الثورة . وأوفت السلطات المصرية بوعدها بإطلاق حرية الصحافة .

إلا أن الرقابة أخذت حدتها تخف خاصة وأن العهد الجديد وجد أنه قوبل بمقابلة حسنة من الصحافة فى الخارج . وقال أحد المراسلين عن تلك الفترة : يجب أن أقرر أننى أرسلت برقيات فيها شىء من النقد ولم تمنع .

وقد أعلنت الحكومة فى يوليو سنة ١٩٥٣ إلغاء القيود المفروضة على حرية تناقل الأخبار بين الداخل والخارج لأنها ليس عندها ما تخفيه ، ولا تخاف شيئاً .

ومنذ ذلك التاريخ لم تفرض رقابة خارجية ظاهرة . وزعم بعض المراسلين أنهم كانوا يقابلون بجفاء من الزعماء المصريين إذا أرسلوا برقيات تتضمن شيئاً من النقد ، ولكن لم يحاول أحد ، أن يمنعهم من إرسال ما يرسلون من برقيات . وفى نفس السنة أجرى التحقيق مع عدد من الصحفيين فى القاهرة وقد أجرى التحقيق مع Alan Mc gregor وهو مراسل إنجليزى كان يعمل فى الوقت نفسه فى جريدة محلية ، كما حقق مع مندوبى جريدتى النيورك تايمز ،

والديلى إكسبريس اللندنية . وفى مايو سنة ١٩٥٣ طرد جاك ماليه Jacques Maleh مراسل جريدة « جويش كرونكل » اليهودية .

سوريا

يجمع المراسلون على أن الرقابة فى سوريا رقابة مطلقة غير منطقية : ويقولون إن المتاعب الحقيقية بدأت منذ أن قام حسنى الزعيم بأول انقلاب عسكرى فى سوريا سنة ١٩٤٩ . ومن قبل لم تكن سوريا من البلاد التى يشكو منها المراسلون إلا فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية . فخلال سنة ١٩٤٨ أظهر المسئولون حساسية شديدة فى كل الأمور المتصلة باليهود وإسرائيل ، وقد اعتقل وقتئذ أمريكى من أصل سورى لأنه كان يوزع منشورات أصدرتها الجمعية الإسرائيلية البريطانية .

وفى سنة ١٩٤٩ بلغت الحساسية الوطنية ذروتها . ويقول أحد المراسلين : إن فقرة أضيفت إلى برقية لوكالة أنباء فى مكتب التلغراف . وقد تضمنت الفقرة نقداً عنيفاً لرئيس وزراء العراق حينذاك .

وقد بين المراسلون أن قرب دمشق من بعض عواصم الدول العربية جعل فى الإمكان تفادى الرقابة السعودية ، وإرسال البرقيات من تلك العواصم . فقرب بيروت من دمشق جعل إجراءات مثل تقديم نسخة من البرقية إلى المكتب الثانى ، وحمل بطاقة صحافة

سوريا — جعل مثل تلك الإجراءات لا تعني شيئاً ، وإن كانت تضايق المراسل بعض الشيء [1] .

العراق

وصف المراسلون الرقابة في العراق بأنها متقلبة ، تشتد حيناً وتخف حيناً ، وتختلف من أسبوع لأسبوع ، وأجمل مراسل أمريكي آثارها بقوله : يجب على المراسل أن يعمل لها حساباً ، ولكنها على وجه العموم لا تمنع من تدفق الأنباء المشروعة .

وقال آخر : في العراق تستطيع أن تبرق بما تشاء من أخبار ، ولكن عندما تتأزم الأمور يسدّون أمامك الباب ، وحدث أثناء حفلات تتويج الملك فيصل الثاني في مايو سنة ١٩٥٣ أن تعطلت برقيات النيويورك تايمز ، والاسوشيتد برس أكثر من ٤٨ساعة . وما علة ذلك ؟ كان الرقيب يحاول أن يتأكد من صحة برقية أرسلها أحد الأتراك يقول فيها أن قنبلة وضعت بالقرب من قصر الملك . وترتب على هذا أن وقت الرقيب لم يتسع للموافقة على البرقيات المرسلة إلى الخارج .

---

(١) بعد سقوط الشيشكلي أصدر البرلمان السوري في مايو سنة ١٩٥٦ قانوناً للصحافة ينص على عقوبات شديدة على كل ما من شأنه أن يحرص على حركات ضد الدستور أو على العصيان وترك للسلطات أمر الفصل في هذا الشأن . وأصبح على كل جريدة أن تحصل على ترخيص قبل أن تصدر ، وهذا من شأنه أن يساعد على الضغط على الصحف المعارضة . والرقابة السياسية تؤثر بالضرورة على عمل المراسل الأجنبي عندما يحاول أن يغطي أخبار سوريا .

وفى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٥٣ أعلنت حكومة فاضل الجمالى إلغاء الرقابة على البرقيات المرسلة إلى الخارج .

الأردن

فى أيام الملك عبد الله كانت الرقابة فى يد القصر ، وكانت تتركز أصلا فى الأخبار المتصلة بشئون فلسطين وإسرائيل، وسائل الأمن والقصر نفسه . ولم تكن الرقابة تشتد على المراسلين الزائرين، ولكنها كانت لا ترحم المقيمين منهم وبخاصة الوطنيين بحيث تجعل من الصعب عليهم أن يبعثوا برسائل أو برقيات فيها شىء من النقد للنظام القائم .

ووصف أحد المراسلين الأمريكيين السلطات الأردنية سنة ١٩٥٠ بأنها حساسة جدا ، ولكنها عادلة ؛ وكانت فى بعض الأحيان تحذف أشياء من البرقية تنصح المراسل بذلك قبل إرسال البرقية . ومن أمثلة ذلك أن برقية أرسلت فى عيد ميلاد المسيح فحذف منها ما يتصل بجلاء القوات المصرية عن بيت لحم . وكان السبب أنه كثيراً ما دب الشجار بين أفراد القوات المصرية ، وقوات الفيلق العربى ، وكانت السلطات تريد أن تبدو بيت لحم هادئة فى يوم العيد . ولكن سمح للمراسل أن ينتقل ببرقيته عبر الخطوط الإسرائيلية لأن إمكانيات الإرسال كانت متوافرة هناك ، وقد أقسم المراسل بشرفه للسلطات العربية ألا يضيف شيئاً إلى

البرقية كانت تلك السلطات أمرت بحذفها .

ويقول المراسلون الذين زاروا الأردن سنة ١٩٥٣ أن مكتب التلغراف فى عمان كان يطلب ثلاث نسخ من البرقية التى يراد إرسالها للخارج . ووصف أحد المراسلين الرقابة هناك بأنها متقلبة ولكنها ليست صارمة . ويقول آخر أن بعض رسائله كانت تعطل بعض الوقت وبخاصة إذا كانت تتضمن أخباراً عن العلاقات بين الأردن وإسرائيل .

لبنان

يقول أكثر المراسلين إن بيروت ، عاصمة لبنان ، هى الميناء الحر لإرسال أية برقية ، وقليل منهم من ذكر أنه لاقى صعوبات فيها . إلا أن خلال الحرب فى فلسطين فرضت السلطات اللبنانية بعض القيود ، كما فرضت مثل تلك القيود فى أواخر رياسة الشيخ بشارة الخورى سنة ١٩٥٢ ، فقد ضيق على المراسلين عندما اشتد النقد الموجه إلى حكومة بشارة الخورى فى الخارج لما دب فيها من فساد . ولم تكن ثمت قواعد معينة ، وكان الرقيب يرفض البرقية على أساس أنها تسيء إلى سمعة لبنان وحسب . ولا تزال السلطات اللبنانية تثور ثائرتها إذا سادت الأمور الداخلية على غير ما تحب . وحدث هذا فى ديسمبر سنة ١٩٥٣ عندما ارتابت الحكومة فى وجود مؤامرة عسكرية لقلب الحكم .

العربية السعودية واليمن

قليلون جداً من المراسلين من يزورون العربية السعودية وذلك لغرابة موضوع الرقابة هناك . ويقول أحد المراسلين الذين زاروها إن خير طريق لإرسال البرقيات هو طريق البحرين مع أن فى جدة إمكانيات لإرسال البرقيات ، والصحافة المحلية فى العربية السعودية تسيطر عليها الحكومة سيطرة تامة . والحكومة شديدة الحساسية لكل نقد يوجه إليها فى الخارج .

الخليج الفارسى

لا يعرف شىء عن الرقابة فى البحرين والكويت .

السودان

لم تكن هناك رقابة ما فى السودان .

إيران

يرى أغلبية المراسلين أن إيران أسوأ بقعة فى منطقة الشرق الأوسط كله فيما يتعلق باستيفاء تغطية الأخبار . وكل من الرقابة والتدخل فى شئون المراسلين يتخذ أشكالا تتفاوت من الحذف إلى الطرد وما هو أشد من ذلك وأنكى . والقواعد التى تطبقها الحكومة لمنع الأخبار غير المرغوب فيها قواعد مطاطة وغير محددة : فقد

يقابل المراسل بجفاء من المسئولين، وقد يتلقى تهديدات مهذبة منهم . ولكنه يستمر فى جمع الأخبار ، إلى أن يأتى يوم يتلقى فيه أمراً بالحضور أمام السلطات التى تمهله بضعة أيام لمغادرة البلاد .
وتستند إيران فى إجراءاتها المشددة ضد المراسلين على المادة (٢٩) من ميثاق الاتحاد الدولى للاتصالات التلغرافية التى تخول للأعضاء حق وقف أى اتصال يظهر أنه خطر على أمن الدولة ، أو مخالف لقوانينها ، أو يبدو أنه ضد النظام العام أو مناف للآداب . وفى نوفمبر سنة ١٩٥٢ أعلن حاكم طهران أن على المراسلين أن يتحملوا مسئولية البرقيات التى يبعثون بها إلى الخارج تحملا كاملا .

وبين اللحظة التى يشير فيها المسئولون إلى المراسل بأنه يسير فى اتجاه لا يرضيهم ، واللحظة التى يتلقى فيها الأمر بمغادرة البلاد ، بين هذه وتلك وسائل متعددة لتخويف المراسلين . وقد قال أحدهم ما نصه : كان المسئولون يقرأون فى مؤتمراتهم الصحفية بعض الأخبار التى نشرت فى الخارج بقصد التنديد بالمراسلين الذين بعثوا بها إلى الخارج . وقال آخر : نبهونى مرة أو مرتين أن أعتدل فى لهجتى عند التكلم عن حكومة إيران ، وإن كانوا لم يمنعوا شيئاً من برقياتى . وقال ثالث : للإيرانيين قدرة كبيرة على خلق المتاعب المصطنعة لمنع قصة خبرية لا تتفق مع النص الرسمى من أن تسلك طريقها إلى الخارج .

وقال مراسل رابع طرد من إيران : من الأمور المحيرة أن المراسل لا يستطيع أن يعرف ما إذا كان يأخذالتهديدات الرسمية مأخذ الجد أم الهزل ؟ . فقد هدد الدكتور حسين فاطمى ، مساعد مصدق الأيمن ، بوقف برقياتى التى يراها غير ودية . ومع هذا لم يحدث أن منع إحداها . ولكن تهديده كان بمثابة رقابة غير مباشرة على المراسلين الوطنيين الذين يعملون لحساب الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية . . . وظننت يوماً ما أننى تغلبت على المصاعب ، ثم لم ألبث أن وجدت نفسى مطروداً خارج إيران .

والتجربة التى مر بها ميشيل كلارك Michael Clark مراسل النيويورك تايمز الذى طرد من إيران فى ديسمبر سنة ١٩٥١ خير مثل على ما نقول . فقد روى كلارك قصته بعنوان : « التايمز تتكلم » .

ففى خلال الاضطرابات التى وقعت فى طهران والتى قتل فيها ديمترى كابلا نوجلو مراسل جريدة « إيليفثيريا » اليونانية ، والتى خربت فيها دور الصحف المعادية ذهب كلارك لحضور المؤتمر الصحفى اليومى للدكتور فاطمى ليسأل بعض الأسئلة . وعلى أثر ذلك كتب كلارك يقول : أبلغت أن الدكتور فاطمى يريدنى فى مكتبه الخاص . ولما دخلت عليه وجدته هائجاً ثائراً ، ووجدت أمامه قصاصة من جريدة « النيويورك تايمز » وبها برقية أرسلتها

منذ أيام قليلة عن جو الرعب والفزع الذى يسود طهران . وسألنى فاطمى عما إذا كنت أنا كاتب البرقية أم لا ؟ فلما أجبته بالإيجاب انهال على بسيل من الألفاظ الشديدة نطقها بالفرنسية فهمت منها أنى أهنت الحكومة ، وأنى عميل لشركة البترول الإيرانية البريطانية السابقة ، وأن أمامى ٤٨ ساعة فقط لمغادرة البلاد .

فقلت له : يا عزيزى الدكتور ، إذن فأنت تتهمنى حقيقة بأنى عميل لشركة البترول الإيرانية البريطانية . فأشار إلى بأصبعه وفى لهجة مسرحية قال لى : أنا أتهمك .

ولما استطعت بعد ذلك أن أتكلم قلت له إن أحداث اليوم تؤيد ما ذهبت إليه فى برقيتى . فزادت هذه الملاحظة من ثورة فاطمى ، ثم غادرت مكتبه .

وكان أول شىء فعلته أنى أبلغت السفارة الأمريكية بما حدث . وبعد نصف ساعة ذهب هندرسون Henederrson السفير الأمريكى لمقابلة الدكتور مصدق رئيس الوزراء ليبحث معه موضوعى . وطلب السفير من مصدق إلغاء أمر الطرد ، وإصدار تكذيب أو تصحيح إذا كانت البرقية تخالف الواقع كما جرى العرف بذلك . ولكن مصدقاً لم تلن له قناة ، وأصر على أنى مقترف جريمة القذف . ثم أضاف أنى أستطيع البقاء فى إيران بشرطين

أن يصدر السفير نفسه بياناً يكذب فيه ما جاء فى البرقية ، وأن أنشر أنا تكذيباً رسمياً باسمى وتوقيعى . ورفض السفير كلا الشرطين ، وانتهت المقابلة بين السفير ومصدق بهذه النتيجة .

وبعد ذلك حضر ضابط إلى الفندق الذى أقيم فيه . وصحبنى إلى مركز البوليس ، وهناك ألغوا تصريح الإقامة الممنوح لى ، وأعطونى تأشيرة خروج تظل قائمة المفعول لمدة ٤٨ ساعة .

وكان كلارك هو ثالث مراسل يؤمر بمغادرة إيران خلال سنة ١٩٥١ ، وقد طرد هيج نيكولسن Haig Nicholson مراسل رويتر ، كما طرد سيفتون ديلمر Sefton Delmer مراسل الديلى اكسبريس فى يونيه من نفس العام . وأصبح عدد المطرودين حتى نهاية يناير سنة ١٩٥٤ عشرة مراسلين . وسجن مراسل وطنى واحد فى تلك المدة ، وكانت الأسباب التى تذرعت بها السلطات الإيرانية لطرد هؤلاء المراسلين أسباباً مبهمة ، وقد أجملت فى الاتهام الذى وجه إلى مارك بوردو مراسل الأسوشيتد برس وقد طرد فى مايو سنة ١٩٥٣ . وتتخلص التهمة فى : « نقل الأخبار الكاذبة والمثيرة والتى تتعارض مع مصالح إيران » .

ولما ذهب مصدق وتلاه فى الحكم الجنرال زاهدى وذلك فى أغسطس سنة ١٩٥٣ لم يأمن المراسلون على أنفسهم من الطرد ، وإن كان مراسل بريطانى عانى الكثير فى عهد مصدق يقول إن الأمور تحسنت فى عهد زاهدى .

ولكن فى أكتوبر سنة ١٩٥٣ أمر دافيد ووكر Daviad Wadker مراسل جريدة « نيوز كرونكل » بمغادرة البلاد . كما طرد جاستون فورنييه Gaston Fourrier مراسل الوكالة الفرنسية فى فبراير سنة ١٩٥٤ .

وروى فورنييه قصة طرده ، والشبه واضح بينها وبين قصة طرد كلارك . قال فورنييه : بعد سنتين من تمثيل الوكالة الفرنسية فى إيران ، وبعد ثلاث سنوات فى براغ لم أدهش عندما وصل جنديان من جنود البوليس إلى منزلى فى طهران يوم ٢٤ يناير ، وطلبا منى أن أصحبهما . وكنت طريح الفراش أشكو مرض السل . ورفضت الذهاب معهما ، ولكنهما ألحا . فطلبت منهما أن يسمحا للقنصل الفرنسى أن يذهب معى على الأقل إلى مركز البوليس .

« وسألنى مدير الأمن عما إذا كان صحيحاً أنى بعثت إلى وكالتى منذ ثلاثة أيام ببرقية عن حوادث وقعت فى عبدان أثناء الانتخابات . وأجبت بأنه صحيح . ثم أشرت إلى أن اثنين من أمهات الصحف فى طهران نشرتا الخبر ، ونبهته إلى أن الصحافة الإيرانية خاضعة لرقابة الحكومة مما يدل على أن الخبر صحيح . وبعد أن أثبت له صحة المعلومات التى أتحمل مسؤوليتها كاملة ، رفضت أن أصرح بشىء عن المصادر التى استقيت منها الأخبار .

« واتصل الرجل تليفونياً بالجنرال زاهدى ، ثم أبلغنى أنه

تقرر طردى ، وأن علىّ أن أغادر إيران فى خلال ٤٨ ساعة .
ولكنى استطعت بعد ذلك أن أحصل على مهلة أخرى بسبب سوء صحتى ، وحتى تتمكن وكالتى من إرسال مندوب يحل محلى . وتدخل السفير الفرنسى الذى طلبت منه الحكومة الفرنسية أن يقدم إلى حكومة إيران احتجاجاً شديد اللهجة بسبب تصرفهامعى . وبعد يومين حضر إلى منزلى ثلاثة جنود لحملى على مغادرة البلاد فى الحال .

« فأبلغتهم أننى مريض ، وأننى أمهلت بعض الوقت ، وأفهمتهم أنهم لو أصروا على حملى على مغادرة إيران فى الحال فإنى مضطر إلى إبلاغ زملائى الصحفيين فى طهران ومصورى الصحف . ولن أغادر البلاد إلا وأنا أرتدى « البيجاما » على نحو ما يفعل مصدق سواء بسواء . فلم يسع الجنود أمام هذا كله إلا أن ينصرفوا .

« وتقابلت مع الجنرال فارزنيجان وكان يجمع بين وزارة الدعاية ووزارة البريد والتلغراف ، وهو أمر غريب ، وسألته أن يلغى قرار الطرد . فقال لى إن برقياتى ليست أمينة ، ولكنه لم يستطع أن يقدم لى دليلا واحداً على صدق ما يقول .

« فأبنت له ، على خلاف مايزعم ، أن الرقابة غير المشروعة على الصحافة وأن تدخله بوصفه وزيراً للبريد وقراءته سراً للبرقيات ، كل هذا حملنى على أن أزيد من تفاصيل الصورة التى أرسمها للوضع القائم فى إيران وهو الوضع الذى جاوز المعقول . ومع هذا فقد

رفض أن يلغى قرار الطرد ، ثم بدا عليه أنه يضايقه أن أكتب وأنا خارج إيران ما لم أكن أستطيع أن أكتبه وأنا فى داخلها .

« ولما حان وقت رحيلى يوم ١٨ فبراير أمرت سلطات المطار رجال الجمرك أن يدققوا فى تفتيشى ، وتفتيش زوجتى . وقد استغرق هذا التفتيش أكثر من ساعة ، وأدركت حينئذ أن القصد بذلك إهانتى ، وأخيراً سمح لى بركوب الطائرة .

« ثم إن الجنرال فارزنيجان أعرب لصحفى إيرانى يمثل وكالة أنباء أجنبية فى طهران ، استحالة نقل أخبار إيران نقلا كاملا ودقيقاً . إذ قال له الجنرال أثناء مؤتمر صحفى : بينك وبين السجن نفس المسافة التى بين تليفونى ومكتب رئيس البوليس !!!

إسرائيل

فرضت الرقابة العسكرية فى إسرائيل منذ مولدها سنة ١٩٤٨ لأنها منذ ذلك التاريخ وهى فى حالة حرب فعلية أو رسمية بينها وبين الدول العربية المجاورة لها . ويتحتم على كل مراسل هناك أن يقدم نسخة من برقياته المرسلة إلى الخارج فى مكاتب الإعلام العام فى تل أبيب أو القدس . وفى هذا المكتب ترسل النسخة إلى مكتب

التلغراف لإرسالها إلا بعد ما لم يحذف منها الرقيب شيئاً بعد التشاور مع المراسل صاحب البرقية .

ويقول المراسلون إن الرقابة العسكرية كانت صارمة خلال الحرب الفلسطينية وخلال السنوات الأولى التي كانت فيها إسرائيل تحاول أن تقف على قدميها . وذكر بعض المراسلين أن الرقابة لم تكن دائماً ذات طابع عسكري . وقال أحدهم إن في إسرائيل رقابة اقتصادية كذلك تمنع المراسل حتى من ذكر سعر الجنيه الإسرائيلي في بعض الأحيان . وقد منع الرقيب خبر نقل اليهود اليمنيين بالطائرات من عدن إلى إسرائيل . واستمر منع هذا الخبر بضعة شهور ، واعتبر سراً من الأسرار التي لا يصح إذاعتها .

وبانتهاء القتال الفعلي بين العرب واليهود حدث تغير ملحوظ : قال مراسل أجنبي : لقد منح الصحفيون كل التسهيلات الممكنة ، وأظهر الرقباء استعدادهم للتعاون مع المراسلين لتفادي أسباب الخلاف بينهم..

ومن جهة أخرى ذهب مراسل ثالث إلى وجود نوع من الرقابة غير المباشرة تتمثل في الضغط وعدم التعاون وبخاصة مع المراسلين الوطنيين الذين يراسلون صحفاً ووكالات أنباء أجنبية . والصحف المحلية خاضعة ، كذلك ، للرقابة القوية . وعلى كل صحيفة أن تقدم نسخاً منها للرقابة لفحصها . وكثيراً ما يحذف الرقباء أجزاء كثيرة

من الصحف التى تتجه إلى أقصى اليسار بالرغم من ادعاء الرقابة أنها لا تتناول الشئون السياسية بالحذف أو التغيير .

وقد ظهر أثر النشاط الأدبى فى حادث وقع لمراسل أمريكى . ففى شتاء سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ نقل هذا المراسل إلى جريدته خبر إضراب ١٤٠ يهودياً هندياً طالبوا بالعودة فوراً إلى الهند ، وأجيبوا إلى طلبهم . وقد أثار الخبر سخط السلطات الإسرائيلية ، وعبرت وكالة الأنباء اليهودية عن هذا السخط ، وأعلن المراسل الأمريكى أنه الوحيد الذى نقل هذا الخبر كاملا . مع أن الرقابة الرسمية لم تمنع نشره .

الرقابة على الصور

يشكو المراسلون الذين يهتمون بالصور مر الشكوى من القيود الصارمة التى تفرضها بلدان الشرق الأوسط على الصور . وقال مراسل سويسرى : هناك مشكلة لا يمكن أن نوفيها حقها من التوضيح ، وهى المشكلة التى يعانى منها مصورو الصحف ؛ ولا أقصد النظرة العدائية الطبيعية من جانب رجل الشارع ، ولكن أقصد سوء فهم المسئولين لمهمة المصور الصحفى . فمن المحرمات أن تصور حماراً فى الطريق بالقرب من الأراضى

المقدسة فى القسم العربى فى القدس ، وقد سمح لى بتصوير المبانى لا الأشخاص . وأيد مراسل أجنبى آخر ما ذكر عن القيود الشديدة التى تفرضها السلطات على التصوير . وبالرغم من أن السلطات وعدت بتخفيف تلك القيود إلا أنها لم تف بوعدها ، وتحريم التصوير معمول به كذلك فى الأردن . أما فى العراق فالمراسل الذى اشتكى من القيود الإيرانية وجد قيوداً مشابهة لها فى تلك البلاد . ولكنه عندما التمس من السلطات تخفيفها أجيب إلى ما طلب .

الفصل الثالث
مصاعب السفر

ليست الرقابة وحدها هى كل ما يعانيه المراسل الأجنبي من صعوبات فى الشرق الأوسط . بل أن هناك صعوبة أخرى لا تقل عن الأولى ، من حيث قسوتها وشدتها على المراسل الأجنبي . وهذه الصعوبة الأخيرة تتصل بانتقاله من جهة إلى أخرى ، وسعيه وراء الحصول على « تأشيرة » الانتقال وغير ذلك من الإجراءات الرسمية المعروفة .

ويرى كثيرون من المراسلين أن مصاعب السفر وقيوده أشد أثراً فى استيفاء الأخبار من الرقابة . ومما لا ريب فيه أن تغطية الكثير من أخبار هذه المنطقة ، ومن أحداثها الهامة يتعطل بسبب التأخير المقصود فى منح المراسلين الأجانب تأشيرة الانتقال بين بلدان المنطقة . وغالباً ما أدى ذلك إلى الاعتماد على المراسلين المحليين الذين لا ينقلون الأخبار نقلا مرضياً ، أو كافياً فى نظر المراسل الأجنبي .

وفى مصر أو العراق ، ولبنان ، وسوريا ، والعربية السعودية ، وإيران يتحتم الحصول على تأشيرة دخول . مع أنه فى أكثر

الأحيان لا يتيسر الحصول على هذه التأشيرة بطريقة سريعة . وتأخير يوم معناه ضياع الفرص فى نقل أخبار هامة . وفى إيران — على وجه المثال — ذكر المراسلون أن الحصول على تأشيرة الدخول قد يتم فى أيام لا فى يوم واحد .

أجل إن تأشيرة الدخول إلى بلدان الشرق الأوسط تستغرق وقتاً ليس بالقصير ، لأن القنصليات والسفارات الشرقية فى الخارج لا تمنح تأشيرة الدخول إلا بعد استشارة حكوماتها . وقد ذكر مراسل فرنسى يزار المنطقة كثيراً أن قنصليات مصر ولبنان وإسرائيل تمنح تأشيرة الدخول فى الحال ، وأما قنصليات العراق والأردن وسوريا فتمنحها بعد استشارة حكوماتها . ويتطلب هذا وقتاً يتراوح بين خمسة أيام وعشرة . وتمنح تأشيرة الدخول إلى إيران بعد ثلاثة أسابيع . أما العربية السعودية فلا تمنح المراسلين تأشيرة الدخول إليها إلا فى حالات استثنائية .

وللمراسلين شكاوى أخرى تتعلق بتأشيرات الانتقال وهى أن كلمة « مراسل » أو « صحفى » أو « محرر » تعنى تعطيلا لا يعانى منه المسافر العادى . والسبب الذى من أجله يتحتم الرجوع إلى وزارة الخارجية قبل منح تأشيرة الدخول هو أن لدى كل حكومة فى الشرق الأوسط قائمة سوداء بأسماء الصحفيين الممنوعين من الدخول . ويقول بعض المراسلين إن أسباباً مبهمة

تدخل المراسل ضمن القائمة السوداء . بل إن أسماء بعض الصحف كذلك تدرج فى هذه القائمة فيمنع مراسلوها من الدخول لذنب لم يرتكبوه إنما ارتكبه مراسلون آخرون .

وقال مدير إحدى وكالات الأنباء : إن جنسية طالب التأشيرة مهمة فى الحصول عليها . وقد دلت التجارب على أن طلبات الصحفيين من البلاد التى يعول على تأييدها فى الميدان الدولى تجاب بسرعة .

والصعوبات التى تواجه المراسلين فى الحصول على التأشيرة تتفاوت فى الشدة من مراسل إلى آخر : قال أحدهم : أن التأشيرة عمل متعب ، ولكن مشكلتها فى إضاعة الوقت . وقال آخر : إن منح التأشيرة قد يخضع للأهواء ، وليس من السهل التغلب على صعوبة الحصول عليها إلا بالحظ ، وبنفوذ الأصدقاء ، وبالانتظار ساعات وساعات . وقال ثالث : إن الحصول على تأشيرة دخول إلى بلد عربى يتطلب معرفة أحد أصحاب النفوذ والسلطان فى ذلك البلد . غير أنك متى دأبت على زيارة القنصلية ، وعلى إرسال برقيات إلى المسئولين فى البلد فزت بالتأشيرة فى أسرع وقت ممكن .

وقد علق المراسلون على استخدام تأشيرة الدخول فى الضغط على المراسلين الأجانب بقوله : فى مصر يحتاج مد الإقامة إلى زيارات عديدة إلى وزارة الخارجية . و يطول

انتظارك . وتسمع تلميحات ذات دلالة ؛ وذلك إذا كان المسئولون هناك قد ضايقهم شيء مما كتبت أو نقلت من أخبار . وفى سنة ١٩٤٨ لم يمنح ريتشار مورير تأشيرة الدخول إلى مصر لتمثيل إحدى وكالات الأنباء بحجة أن الحكومة المصرية لا توافق على سياسة جريدتين من الجرائد التى تنشر رسائله . وقال مراسل آخر : إن استخدام التأشيرة بوصفه شكلا من أشكال الضغط يختلف من مراسل لآخر ، وهى أشد تأثيراً بالنسبة إلى المراسل المقيم .

وذكر بعض المراسلين مصاعب خاصة صدرت من بلاد مختلفة على النحو التالى :

فى العراق

قال أحد المراسلين : لم أعان من متاعب التأشيرة كما عانيته فى العراق . فقد أخر منحى التأشيرة شهرين كاملين لأن العراقيين فى القاهرة أصروا على استشارة حكومتهم فى بغداد . وحدث لى نفس الشيء وأنا فى طهران سنة ١٩٥١ . واحتجت إلى تأشيرة دخول إلى العراق . وحصلت على تأشيرة أخرى بشيء من السهولة وأنا فى القاهرة وذلك فى بداية عام ١٩٥٣ .

ولأسباب مجهولة منع مراسلان أمريكيان من دخول العراق.

لبضعة أشهر خلال عام ١٩٥١ وبالرغم من أنه لم يتم تبليغهما أنهما غير مرغوب فيهما لم يحصلا على تأشيرة الدخول .

قال بعضهم : إن طلب تأشيرة الخروج من سوريا أمر يكاد يذهب بالعقل . وقال آخر : فى مرة كنت قادماً من طهران إلى بيروت ماراً بدمشق ، فأخذ منى جواز سفرى وحجز لمدة ثلاثة أيام قضيتها فى بالميرا .

فى العربية السعودية واليمن

نادراً ما يسمح للمراسلين الأجانب بدخول الأراضى العربية السعودية . وطلبات الحصول على تأشيرة الدخول ترسل دائماً إلى الرياض . ويتأخر البت فيها لمدة طويلة . ويقتصر منح تأشيرة الدخول على أماكن معينة هى فى العادة جدة والظهران . وعند مغادرة البلاد يجب الحصول على تأشيرة خروج أيضاً . ومما يزيد من صعوبة الحصول على تأشيرة الدخول أن العربية السعودية تحتفظ بقائمة سوداء طويلة وملأى بأسماء المراسلين والصحفيين .

وقال مراسل آخر : إن وسائل السفر داخل العربية السعودية واليمن سيئة للغاية ، والطريق الطبيعى إلى العربية السعودية هو طريق شركة أرامكو (شركة البترول العربية الأمريكية) ، وإنه

هذا الطريق أصبح غير ميسور بعد النزاع حول ملكية منابع البترول .

وقال مراسل ثالث : من المستحيل دخول اليمن . فلا تصدق أى شخص يقابلك فى الأمم المتحدة أو جامعة الدول العربية ويدعوك لزيارة اليمن . فعند الحدود يقول لك المسئولون أنهم لم يسمعوا شيئاً عنك أو عن الشخص الذى دعاك .

في إيران

الطريقة الوحيدة للحصول على تأشيرة دخول إلى إيران هى أن يكون للبلد الذى ينتمى إليه المراسل سفارة أو مفوضية ، تسعى للحصول على تأشيرة له ، أو يكون لجريدته مراسل وطنى هناك يساعده فى الحصول عليها. هذا ما يقرره أحد المراسلين . وهو يقول ، كذلك ، أنه لا بد أن تصدر وزارة الخارجية الإيرانية تعليماتها إلى المفوضية التابعة لها فى الخارج لمنحك التأشيرة فى كل مرة تطلبها ولو سبق لك الدخول إلى إيران ثلاثين مرة . ويقول مراسل آخر : كنت فى إيران فى الوقت الذى كانت فيه هناك بعثة ستوكس لإجراء محادثات بشأن النزاع حول البترول . ومنذ ذلك التاريخ حاولت الدخول إلى إيران مرتين . وفى المرة الأولى انتظرت ثلاثة أسابيع فى دلهى قبل أن يأتينى الرد بالرفض . وفى المرة الثانية كنت فى

القاهرة ، ورفض الإيرانيون منحى تأشيرة الدخول . فاحتلت على دخول إيران بأن ركبت الطائرة إلى الهند . وفى مطار طهران غادرت الطائرة . وتسبب عن فعلتى هذه بعض مشكلات مع السلطات الإيرانية ، ولكنى لم أهتم لها طالما أصبحت داخل إيران .

حظر السفر بين الدول العربية وإسرائيل :

هناك صعوبة كبرى من مصاعب السفر فى الشرق الأوسط وهو حظر السفر بين الدول العربية وإسرائيل . ذلك أن الحكومات العربية تطبق قرار جامعة الدول العربية بمنع الأشخاص الذين يحملون تأشيرات إسرائيلية من الدخول إلى البلاد العربية . ويقول أحد المراسلين : إن أسوأ مشكلة هى استحالة السفر من الدول العربية إلى إسرائيل بالسيارات أو بالسكك الحديدية .

والقرار السالف الذكر لا يطبق على كل حالة ، فقد يسمح لمراسل أجنبى بدخول بلد عربية حتى لو كان معروفاً أنه زار إسرائيل على شرط ألا يحمل جواز سفر موقع عليه من السلطات الإسرائيلية . وحظر السفر بين إسرائيل والدول العربية يجعل من المستحيل على المراسل الواحد أن يستوفى أخبار إسرائيل والعالم العربى بانتظام ، وهذا من شأنه أن يزيد من صعوبة نقل أخبار الجانبين نقلا أميناً لا أثر للتحيز فيه .

والوسيلة الوحيدة للتغلب على حظر السفر هو الطيران إلى قبرص ثم الحصول على تأشيرة دخول إلى إسرائيل على ورقة منفصلة عن جواز سفره ، وهى عملية توافق عليها السلطات الإسرائيلية . وذكر أحد المراسلين الأوربيين أنه لاقى صعوبة فى الحصول على تأشيرة دخول من إحدى مفوضيات إسرائيل فى الخارج .

وعلاوة على حظر الانتقال من إسرائيل إلى البلاد العربية وبالعكس نجد هناك القيود المفروضة على التنقل فى المناطق العسكرية على جانبي الحدود . ولا بد من الحصول على إذن خاص للذهاب إلى تلك المناطق .

وعلى كلٍّ فالخاسر الحقيقى كما صرح بعض المراسلين بذلك هو العرب . ومن الأمثلة على ذلك ، أنه لما وقع الاعتداء الوحشى الإسرائيلى المدبر على قرية القبية الأردنية فى أكتوبر سنة ١٩٥٣ وهو الاعتداء الذى ذهب ضحيته ٤٢ عربياً ، ذكر المراسلون أنهم وجدوا صعوبة فى الحصول على إذن لزيارة المنطقة التى وقع فيها الاعتداء ، وعجز المصورون على الخصوص عن الوصول فى الوقت المناسب لأخذ صور الضحايا التى كانت ستثير عطف العالم على العرب وسخطه على إسرائيل .

وذكر المراسلون بعض المصاعب التى يلاقونها فى التنقل فى

أنحاء أخرى عدا المناطق القريبة من إسرائيل . فقال أحدهم أنه وجد مشقة كبيرة فى الذهاب إلى شرق سوريا بالقرب من نهر الفرات بدعوى أن المنطقة ذات أهمية عسكرية . وفى الأردن يحرم على المراسلين الاقتراب من المناطق التى يجرى فيها الجيش العربى مناوراته .

وفى إيران حدث خلال أزمة البترول بينها وبين بريطانيا أن وضعت عبدان تحت الحكم العسكرى ، ولم يسمح بالسفر إليها إلا بتصريح خاص من طهران يتجدد على فترات متقاربة . وقال أحد المراسلين أنه كان من الصعب جداً الحصول على مثل هذا التصريح ، وقال آخر إن الحصول عليه يتوقف على مدى رضاء السلطات الإيرانية عن المراسل . وقال ثالث أنه لا بد من الحصول على تصريح خاص عند السفر خارج طهران بمسافة أكثر من ٥٠ ميلا ، وأن التصريح يمنح عادة بعد أسبوع من تاريخ طلبه .

وفى العربية السعودية قال المراسلون القلائل الذين زاروها أنهم وجدوا من المستحيل الانتقال بعيداً عن الجهة التى جاءوا إليها .

وبالجملة تتفق آراء المراسلين فيما يتعلق بتأشيرة السفر ومصاعبه الأخرى على أنه إذا كان عند المراسل فسحة من الوقت استطاع دخول منطقة الشرق الأوسط على شرط ألا يكون اسمه مدرجاً فى القائمة السوداء فى أى من بلدانه . وإن كانت العربية السعودية

واليمن تسببان للمراسلين متاعب خاصة . ومتى أصبح المراسل داخل بلد من بلدان الشرق الأوسط وجد نفسه مقيداً في كل تنقلاته . ثم لا بد أن يضيع عليه بعض الوقت في محاولة الخروج . ولكن مما لا شك أن أقل هذه المصاعب يجده المراسل في مصر ، وفي لبنان ، وفي البلاد التي كانت خاضعة للنفوذ البريطاني . ويبدأ أكثر المتاعب في العراق وفي إيران . وعلى أي حال فالكثير مما يجده المراسل من كل ذلك يتوقف على اتصالات المراسل وعلى حسن حظه في العادة ما دامت القيود المفروضة على السفر وإعداد القوائم السوداء متروكة للظروف والأهواء .

الفصل الرابع

إمكانيات الحصول على الأخبار

أشار كثير من المراسلين الغربيين إلى أن هناك عائقاً يحول دون نقل الأخبار من الشرق الأوسط : وهو الريبة التي يواجهون بها عند سعيهم وراء هذه الأخبار . وذكروا لذلك ثلاثة أسباب :

الأول : يعانى المراسل كثيراً من سوء تقدير بعض البلاد العربية للصحافة باعتبارها مهنة ، وبخاصة فى العراق . مع أن كبار كتاب العرب يكتبون التعليقات الصحفية المهمة فيرفعون بذلك من قدر الصحافة والصحفيين ؛ إلا أن جامعي الأخبار لا يحظون بتقدير كبير فى تلك البلاد . لأنهم لا ينظرون إلى الصحافة باعتبارها خدمة عامة بقدر ما ينظرون إليها على أنها طريق إلى الشهرة أو المال أو النفوذ السياسى . ومما لا يساعد على رفع قدر الصحفيين كذلك انخفاض مستوى الصحافة العربية والإيرانية .

الثانى : من الأمور التى تعوق عمل المراسل انتماؤه إلى دولة أجنبية معينة . وكثيراً ما يؤثر موقف الدولة الأجنبية من قضية من قضايا دولة شرقية فى المراسل الذى يتبعها فى العمل الصحفى الذى يزاوله .

وقال مراسل أمريكى : يقابل المراسل فى الشرق الأوسط

دائماً بالارتياب ، لأن العرب يعرفون جيداً أن صحافة أمريكا تقف ضدهم . ولذلك يترددون فى تقديم المعلومات لئلا تستخدم ضدهم على أى وجه من الوجوه .

وخلال أزمة البترول فى إيران ، قوبل المراسلون الأمريكيون بالارتياب مع أن النزاع لم يكن يتصل بإسرائيل ، ولكن لأن وزارة الخارجية الأمريكية كانت تقتفى أثر سياسة بريطانيا الخارجية .

والحق أن كل عمل تقوم به أمريكا متصلا بهذه المنطقة يؤثر فى المراسل الأمريكى . فإن حديثاً لرجل «كدين أتشيسون» ينطوى على تأييد بريطانيا يكفى لأن يغلق الباب فى وجه المراسلين الأمريكيين فى طهران لفترة من الزمن ، بالرغم من أن أكثر المراسلين بذلوا جهوداً كبيرة لإقناع أهل المنطقة أنهم غير مرتبطين بأفعال حكوماتهم وبسياستها العامة .

يقول مراسل إنجليزى : وضع المراسلون الإنجليز فى إيران تحت رقابة شديدة حتى قبل قطع العلاقات الرسمية بين إيران وبريطانيا . ولم يكن يسمح لهم بزيارة عبدان أو زيارة أى ناحية من نواحى خوزستان . وكان هؤلاء المراسلون يحصلون على أخبار تلك المنطقة الهامة من غيرهم من المراسلين الأجانب ، أو من

الإشاعات التى كانت تعبر الحدود إلى بغداد ، أو تعبر الخليج الفارسى إلى الكويت .

ثالثاً : تحاول السلطات العربية تضييق الدائرة التى يعمل فيها المراسل الأجنبى ، وقصر نشاطهم على أضيق نطاق ممكن لأنهم يعتقدون أن المراسلين ينقلون أخبار عالمهم نقلا غير أمين . ويقول أحد المراسلين الإنجليز : إن صورة العراق — مثلا — قد أسىء تقديمها فى صحافة العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى حد جعل المسئولين هناك أصبحوا يخشون الصحافة الأجنبية .

وأضاف المراسل قوله : إن الحرب مع إسرائيل زادت من المصاعب التى تواجه المراسلين الذين يعملون فى البلاد العربية ؛ لأن الدعاية الإسرائيلية نجحت فى تشويه صورة العراق فى صحافة الخارج فى الوقت الذى لا يجد فيه المراسلون الحيز الكافى فى صحفهم لتقديم الحقائق غير المثيرة . ومن ثم أصبح المسئولون لا يعتقدون بسهولة أن أحداً من هؤلاء المراسلين حاول أن يفعل ذلك .

ومهما يكن من شىء فمن السهل اكتساب العرب والمسلمين عامة متى فاز المراسل بثقتهم . وقلما وجد المراسلون صعوبة كبيرة فى الاتصال بالزعماء وقادة الرأى هناك أو الحصول منهم على الأخبار .

وقد دلت التجربة على أن الزعيم من زعماء العالم العربى يرفض مقابلة المراسل إذا ما اعتقد أن هذا المراسل يقف موقفاً غير

كريم منه أو من بلده . ومن جهة أخرى يجمع المراسلون على أن تأخير مواعيد مقابلة المسئولين ترجع إلى أسباب إدارية أو شكلية ، والتأخير فى المواعيد فى الشرق مرجعه فى الغالب إلى عادة الشرقيين فى عدم ضبط المواعيد ، وليس مرجعه إلى سوء نية من جانبهم . وقال أحد المراسلين إن الحصول على موعد لمقابلة أحد الزعماء يتوقف إلى حد بعيد على مكانة المراسل وعلى حسن طالعه أيضاً .

ومن ناحية أخرى فإن وجود معارضة ضد الحكومة فى بعض بلدان الشرق الأوسط ، ورغبة المراسل فى الوقوف على رأى الجانبين ، تسبب له بعض المتاعب .

وقد أورد أحد المراسلين قوله : إن وضع المراسلين الأجانب ، والصحفيين المحليين الذين يراسلون صحفاً أجنبية تحت رقابة البوليس أمر شائع فى مصر وفى غيرها من بلدان الشرق الأوسط وذلك بعد الحرب العالمية الثانية . ولم تتخلص مصر إلا مؤخراً من نظرتها إلى النشاط الذى يقوم به المراسل عندما يحاول مقابلة زعماء المعارضة باعتباره نشاطاً هداماً . ويترتب على تلك النظرة آثاراً غير مستحبة بالقياس إلى المراسل الأجنبى .

وهناك مصاعب تعوق جمع الأخبار لا صلة لها بالسياسة ، منها قلة ترتيب المواعيد للصحفيين لعقـــد المؤتمرات الصحفية . ومنها أن حقائق الموقف لا تكون فى متناول الوزير

أو المسئول الذى يرغب فى معاونة الصحفيين والإدلاء إليهم بالتصريحات والأحاديث التى تلقى ضوءاً على الخبر الصحفى .

وكتب أحد المراسلين يقول : نعم . توجد مكاتب صحافة حكومية، ولكنها قليلة النفع أو معدومة الجدوى للمراسل الأجنبي ، فترى المسئولين فى تلك المكاتب يترددون فى تزويد المراسل حتى بأبسط المعلومات خوفاً من أن يؤدى ذلك إلى فصلهم من العمل الحكومى .

إن العلاقات العامة وخاصة فيما يتصل بالصحافة لا تزال فى طفولتها فى الشرق الأوسط وذلك حتى فى البلاد الأكثر تقدماً مثل مصر حيث يعقد فيها كثير من المؤتمرات الصحفية . ثم إن المراسلين يصفون تلك المؤتمرات بأن إجراءاتها ناقصة . وقال أحد المراسلين الموجودين فى القاهرة : كثيراً ما يجهل المراسلون أن هناك مؤتمراً صحفياً . وليس لوزارة الخارجية المصرية متحدث رسمى . وفى وزارة الإرشاد القومى يعدون المراسلين بتقديم كل مساعدة ممكنة ، ولكن إذا وقع حادث هام لا يجد المسئولون فيها وقتاً لمقابلة المراسلين الأجانب .

ويشكو المراسلون فى إسرائيل من ضعف الخدمة الإعلامية فيها ، ويصفها مراسل بأنها غير كافية ، ومثقلة بالعمل . وتقدم إلى المراسلين فى إسرائيل معلومات ليسوا فى حاجة إليها . ويضيف هؤلاء أن الإسرائيليين يظهرون مزيداً من الاهتمام بالمراسلين الذين يمثلون الصحف

الكبرى ذات النفوذ . وإن كان هذا العيب فى خدمة الأخبار غير مقصور على إسرائيل أو الشرق الأوسط .

ويقول أحد المراسلين أن النقص فى الخدمة الإعلامية فى إسرائيل يعوق رغبة المسئولين فيها واستعدادهم لمقابلة الصحفيين والتحدث إليهم ، وإن كان المسئولون لا يقفون الموقف نفسه تجاه المراسلين الذين يمثلون الصحافة الشيوعية فى الدول الغربية ، أو صحافة أوربا الشرقية . وهؤلاء لا يجدون صدوراً رحبة إلا فى دوائر أحزاب اليسار المتطرفة . كما أن تلك الدوائر لا ترحب بالمراسلين الأمريكيين أو الغربيين ، ما لم تعد لزيارتهم العدة وتتأهب لها تأهباً كاملا .

أما الأفراد باعتبارهم مصدراً من مصادر الأخبار ، فإن لهم شخصية جذابة . ولكنهم فارغون من المعلومات . ويقول مراسل فى إيران : كثيراً ما أجد مصادر للأخبار ، ولكنها مصادر لا يعتمد عليها ، وغير موثوق بها . لأنها لا تقدم معلومات نزيهة أو صحيحة مائة فى المائة . فمثلا وجدت وزير الاقتصاد الإيرانى شخصية يمكن الاتصال بها ، ولكننى لم أفز منه بمعلومات من أى نوع . مع أننى قدمت إليه كثيراً من الأسئلة المعدة . فالصعوبة الرئيسية إذن هى الحصول على معلومات صحيحة دقيقة ، وبخاصة من المصادر الحكومة الرسمية التى قد تكون راغبة فى مساعدة المراسل، ولكنها

تعجز عن مده بالحقائق . ومن النادر ، كذلك ، الحصول على تعليق موضوعى من شخصية بارزة .

ويقول مراسل آخر : لسهولة الحصول على الأخبار يجب إنشاء مراكز الإعلام . ولا تجد مثل هذا المركز فى عمان ولا فى بغداد . ويوجد فى دمشق مركز للإعلام . غير أنه ضعيف الإمكانيات على كل حال .

ويقول مراسل ثالث عن الأردن : لقد سررت بقدر ما دهشت للشعور بالعلاقات العامة لدى المسئولين فى الحكومة أو فى الجيش العربى . فمع أن الحكومة قليلا ما تعقد مؤتمرات صحفية أو تصدر بيانات رسمية فإننى وجدت من السهل مقابلة المسئولين وفيهم رئيس الوزراء نفسه ، ووجدتهم شديدى النقد للغرب ، ولكنهم لا يحملون أية ضغينة للمراسلين الغربيين . . وللحكومة متحدث رسمى بلسانها ، ولكنه لا يعلم بالأحداث فى الوقت الملائم ، ويخشى تقديم بيانات من غير أن يحصل على موافقة المسئولين على ذلك .

ويرى مراسل قام بزيارة العالم العربى عدة مرات أن الموقف فيما يتعلق بإمكانيات الأخبار فى الشرق الأوسط يتحسن تحسناً مطرداً . ويعلل ذلك بانتشار مبادىء الديموقراطية من جهة ، والخوف من أن رواية الجانب الآخر [1] للأخبار التى تصل إلى العالم قبل روايتهم لها من جهة أخرى .

(١) يعنى بذلك إسرائيل .

آثار القيود

وصفنا فى الصفحات السابقة بعض الآثار المباشرة الناجمة من القيود المفروضة على تدفق الأنباء فى الشرق الأوسط . ومما لا شك فيه أن تلك القيود تؤثر فى نقل الأخبار من حيث الكم والكيف فى الوقت الذى تحتاج فيه أحداث تلك المنطقة إلى استيفاء أخبارها استيفاءاً كاملا . ومن شأن تلك القيود أنها تضطر المراسل أن يعتمد على الإشاعات ، والمعلومات غير الموثوق بها . وكذلك الرقابة تفسد ما جمعه المراسل . ومن شأن القيود ، كذلك ، أنها تبعده عن مسرح الأحداث ، وتتركه يسائل نفسه ما إذا كان الخبر الذى حصل عليه يستحق أن يصطدم مع المسئولين ، ويعرض نفسه للطرد من المنطقة .

هذه مصاعب جمة ، ومصاعب خطيرة ، ولكن يجب أن نتذكر أمرين . الأول أنه من الصعب التحكم فى القيود ، وإن حسن طالع المراسل قد يلعب دوراً فى هذا المجال . ولذلك اختلفت شكاوى المراسلين الذين يوجدون بالمنطقة فى وقت واحد . والأمر الثانى إن إحساس المراسلين الأجانب بضغط القيود المفروضة عليهم يختلف من مراسل لمراسل .

وأقل المراسلين تعرضاً لآثار القيود هو المراسل المتجول الذى

يتخذ مقره خارج المنطقة . فإذا ما واجه مصاعب فى بلد تركه إلى آخر . وقد يعود إليه بعد وقت تكون فيه الأحوال قد تحسنت بالنسبة إليه .

ويأتى المراسل الدائم للجريدة الكبرى فى الشرق الأوسط ، بعد المراسل المتجول فى مدى التأثر بالقيود المفروضة فى تلك المنطقة ، وهو يستطيع بما يتاح له من مال أن يتجنب آثار هذه القيود ، أو يستطيع أن يذهب إلى مكان ما ينقل أخباره فى حرية تامة .

وإذا ما وجد المراسل المتجول صعوبة فى العودة فنفوذ جريدته الكبرى يذلل له الصعوبة . ومثل هذا المراسل يعمل فى الغالب فى جريدة لا تسعى وراء الأخبار المثيرة ، ولا تطلب منه ، كذلك ، أن يخاطر فى سبيل الحصول على خبر تصنع منه عنواناً عريضاً . ولقد عقب أحد المشتركين فى البحث على هذه النقطة بقوله : ينبغى أن نؤكد حقيقة هامة ، وهى أن الصحفيين والمراسلين الذين يؤدون عملهم بجد ونزاهة ، ويمثلون صحفاً لها اعتبارها ، يتمتعون بعلاقات طيبة مع السلطات العربية .

على أن المراسل الذى يتحتم عليه البقاء فى بلد واحد لمد صحف العالم بقدر كبير من الأخبار — هذا المراسل يتأثر إلى حد بعيد بتلك القيود المفروضة على جميع الأخبار فى الشرق الأوسط .

وقال أحد كبار المراسلين الذين قضوا فترة طويلة فى الشرق الأوسط بعد نهاية الحرب العالمية الثانية : إن المراسل المقيم هو الذى يعانى أكثر من القيود من غيره ، مع أنه أكثر علماً بالمنطقة ، وأشد اهتماماً بها . والرجل الذى يحضر للحصول على خبر يأخذه ويعود من حيث أتى ، لا يكون مسئولا مسئولية الرجل الذى يقيم فترة طويلة .

ومن الواضح أن أشد المراسلين تأثراً بتلك القيود هو المراسل الوطنى . وسنناقش أمر المراسل الوطنى فى شىء من التفصيل فيما بعد . إلا أننا نستطيع أن نقول الآن إن المراقبين يجمعون على أنه قد ينجح المسئولون فى التأثير على المراسل الوطنى من ناحية عواطفه الوطنية ، عن طريق تخويفه وتهديده بالانتقام منه إلى حد تجعله يتخلى عن الحيدة والنزاهة فيما ينقل من أخبار . وهذا القول يصدق على البلاد العربية ، وعلى إيران ، وعلى إسرائيل . ويقول مراسل أمريكى عن إسرائيل : يميل المراسلون الوطنيون هناك إلى تجاهل الأشياء التى لا تسر حكومتهم . . . وليس معنى ذلك أن الحكومة ترهب هؤلاء المراسلين . ولكن فى حالات كثيرة يشعر المراسلون الوطنيون الذين راعوا النزاهة التامة أنهم غير مرضى عنهم من مكتب الإعلام العام ، ومن وزارة الخارجية الإسرائيلية على السواء .

ويتفاوت الضغط الواقع على المراسل الوطني وفقاً للظروف المحيطة به . فإذا عمل هذا المراسل لحساب صحيفة أجنبية عملا إضافياً إلى جانب عمله الأصلي ، فلا شك أنه يزيد النتائج التي قد تترتب على نشاطه الصحفي . وقد انتقد أحد المراسلين المتجولين المراسل الوطني لأنه كثيراً ما يحجم من أن يناضل في سبيل حقه لاستيفاء موضوع من جميع جوانبه . ولكن يجب ألا نكيل بكيلين : فالمراسل الأجنبي إذا ما تعرض لمتاعب كبيرة عندما يحاول استيفاء موضوع ما فإنه ينقل إلى جهة أخرى ويلقى من الثناء والإكبار على صموده أمام المتاعب وإيثارة الحقيقة على أى شيء آخر . والمراسل الأجنبي إذا ما طرد فلن يستطيع أن يطالب الصحيفة التي يراسلها بشيء .

فيجب إذن أن ندخل في اعتبارنا الاختلاف في مراكز المراسلين عند النظر في الآثار الناجمة عن القيود المفروضة على جمع الأخبار .

وقصارى القول إن الرقابة وغيرها من القيود المفروضة تؤثر في عمل المراسل على أى وجه من الوجوه ، ولكن قدرة المراسل ، وقدرة الوسائل الأخرى للإعلام إن وجدت تضعف أثر تلك القيود في أكثر بلدان الشرق الأوسط . ومن النادر أن تمنع القيود من نقل أخبار حادث عن الحوادث ، ولن يتجاوز أثرها تأخير الأخبار أو تشويهها بعض الشيء .

ومن الذى يخسر بسبب القيود؟ لا شك أن الصحافة العالمية تتأثر بتلك القيود ، ولكن يجمع المراقبون أن القيود تضر بمصلحة الحكومات التى تفرضها أكثر مما تضر بالصحافة فى الخارج .
وقال مراسل مجرب :

إن الرقابة لم تمنع قط خبراً من الوصول إلى الخارج ، ولكنها كثيراً ما أدت إلى ظهور أخبار مشوهة فى الصحف الأجنبية ، وكثيراً ما امتنع المراسلون من زيارة البلدان التى اشتهرت بشدة الرقابة فيها .

ولذا تحسن البلاد العربية صنعاً إن هى تخلت عن الرقابة ، وزادت من إمكانيات الصحف الأجنبيـة فى استيفاء أخبارها بتيسير إجراءات السفر .

ويرى هذا المراسل إن الدول العربية خسرت الكثير بمنعها المراسلين من حرية السفر بينها وبين إسرائيل . فقد ترتب على هذه المنع أن الصحف الأجنبية تركت أمر استيفاء أخبار إسرائيل إلى المراسلين اليهود أنفسهم ، والنتيجة المحتومة لذلك أن أخبار المنطقة تنقل بدرجة متفاوتة من درجات الموضوعية . فالمراسلون الوطنيون فى إسرائيل يعرضون قضية بلدهم فى إطار عاطفى أكثر مما يفعل المراسل الأجنبى الذى يزور إسرائيل بنفسه ، ويرى أحداثها بعينيه . وهؤلاء المراسلون الأجانب ينقلون أخبار العرب فى

موضوعية تامة . ومن هنا يجيء التناقض بين الصورة التى ترسم لإسرائيل ، والصورة التى ترسم للعالم العربى فى صحف العالم ، ولكن إذا سمح لهم بالسفر إلى إسرائيل لأدى ذلك إلى توازن تام فى الموقف .

أجل إن الرقابة تسيء إلى الحكومة التى تفرضها على نحو ما بيناه من قبل . فعندما تستخدم الرقابة فى منع خبر من الوصول إلى الخارج ، فإن هذا الخبر يخرج ويصل إلى الصحف بعد أن تتناوله يد الحذف والتحريف . ومن ثم ترى الحكومة أن الرقابة أدت إلى غير ما ترغب فيه فترفضها ، ولكن بعد فوات الأوان . وفى هذه الحالة يجد المتحدثون باسم الحكومة أنفسهم مضطرين إلى إصدار بيانات تفسيرية كان الأولى أن تصدر منذ البداية .

ومسألة أخرى يتفق عليها المراقبون ، هى الأثر غير الحميد الذى تتركه القيود فى نفس مندوب الجريدة أو مندوب الوكالة . وقد علق مراسل على هذا بقوله : ما أسهل أن يعادى المرء بلداً يسبب له المتاعب ! ، فالقيود غير الضرورية تضايقه ، ويضايقه أكثر شعوره أن هذه القيود تفرض على أشخاص ، ويعفى منها أشخاص آخرون ، وهذا من شأنه أن يؤثر فى أشد المراسلين رغبة فى أن يتحرى الدقة والنزاهة فى عمله .

وإذا ما استمر المراسل يتعرض لمثل هذه المتاعب فلا شك أن أثر

ذلك يمتد إلى رئيس تحـــرير جريدته فى الخارج ، ومن ثم لا نجد جريدة تحرص على الاحتفاظ برجالها فى الشرق الأوسط . فهى تخشى أن استمرار التعرض للرقابة تجعله رقيباً على ما يقع تحت يده من أخبار بطريقة تلقائية .

والمراسل المتجول يعانى من القيود ما يعانيه المراسل الآخر . فإذا ما أرغم على البقاء فى أى من الجانبين العربى أو الإسرائيلى عجز عن أن يقدم صورة متوازنة للموقف فى الشرق الأوسط كله . وإذا ما أثرت الرقابة وقيود السفر فى العالم العربى وإيران وعرقلت جمعه لأخبارهما حز هذا فى نفسه .

نعم — قد يكون المراسل ضحية كل هذه المشكلات والمصاعب . ولكن الخاسر الأخير هو الحكومة التى تناصب المراسل العداء وتعوق عمله . والشكوى الدائمة للسلطات فى الشرق الأوسط هى أن أخبار منطقتهم ينقلها مراسلون أجانب لا يفهمونهم ولا يفهمون أسلوب حياتهم . غير أنهم إذا كانوا يسلكون هذا المسلك الذى يضايق المراسل الخاص ، والمندوب المقيم فاللوم يقع على عاتقهم ! ولا لوم على الصحافة العالمية [1] .

---

(١) لا شك إن وجود حالة الحرب بين الدول العربيـــة وإسرائيل هو الذى يفرض هذه القيود ، فلا يعقل أن تسمح الدول العربيـــة بحرية الانتقال لأى شخص كائنا من كان بينها وبين إسرائيل . والصحافة العالميـــة إذا شاءت تحرى الدقة والموضوعية فى أخبار الجانبين فلن تعوقها مثل هذه القيود .

(المترجان)

الفصل الخامس

متاعب أخرى

تحدثنا إلى الآن عن نوعين من القيود التي يتقيد بها المراسل الأجنبي في بلاد الشرق الأوسط . وهما قيود الرقابة من جهة ، وقيود الإجراءات الرسمية التي تقف تجاه المراسل الأجنبي في انتقالاته بين بلاد المنطقة من جهة ثانية . كما تحدثنا عن إمكانيات الحصول على أخبار المنطقة ، وعن الآثار السيئة التي تركتها القيود السابقة في عملية استيفاء هذه الأخبار .

على أن هناك قيوداً أخرى ومتاعب كثيرة فضلا عن الرقابة وقيود السفر . ذلك أن استيفاء أخبار المنطقة يكلف وكالات الأنباء والصحف العالمية نفقات كثيرة . ولا غرابة في ذلك فقد أصبحت تكاليف المعيشة عالية ، كما أن مسافات السفر طويلة ، وأجور البرقيات التلغرافية واللاسلكية مرتفعة إلى درجة كبيرة . وإذا كان في الإمكان تحسين وسائل الاتصال التلغرافي واللاسلكي في المنطقة ، فأمام المراسل صعوبة أخرى وهي أن هذه الاتصالات قد تنقطع أحياناً لأسباب سياسية ، وإنه وإن كانت مشكلات وسائل الاتصال متداخلة في نفقاته تداخلا تاماً فإننا سنعالج كلا من المسألتين على حدة .

نفقات استيفاء الأخبار

مشكلة نفقات نقل الأخبار من الشرق الأوسط هي مشكلة وكالات الأنباء العالمية قبل كل شيء. وصحيح أن بعض رؤساء تحرير الصحف في أوربا أوضحوا أنه لو خفضت النفقات نوعاً ما لفكروا في إمكان الاعتماد على مراسلين خصوصيين ولو على أساس تعاوني، ولكن هذا لا يصدق إلا على الصحف التي تستمد أخبار الشرق الأوسط من وكالات الأنباء فقط.

أما الصحف التي تبعث بمراسليها إلى الشرق الأوسط فقد دبرت أمر ماليتها. والصحف الكبرى الغنية هي التي تطلب من مراسليها أن يوافوها بأخبار المنطقة على نحو متصل منتظم. ويقول مراسل أمريكي: إن قليلا من الصحف ترغب في أن تنفق مائة وخمسين دولاراً في الأسبوع على رجل بالإضافة إلى مرتبه للبقاء في الشرق الأوسط. ولا يعني هذا أن نفقات استيفاء الأخبار في الشرق الأوسط تزيد عن غيرها من مناطق أخرى من العالم. ويقول مراسل آخر أن نفقات الاحتفاظ بمراسل في الشرق الأوسط لا تزيد عن نفقاته في روما أو لندن، وهي أقل منها في سنغافورة وهونج كونج.

ونفقات المراسلين تؤثر في وكالات الأنباء من نواح كثيرة. فوكالات

الأنباء تواجه نفقات جمع الأخبار من مراكز الشرق الأوسط ثم توزيع هذه الأخبار من القاهرة أو من لندن . فإذا كان مركزها الرئيسى فى القاهرة فإن نفقات الحصول على الأخبار من بغداد ، مثلا ، تقدر بنحو ١٠٠ جنيه لكل ٢٥٠٠ كلمة . ويتحتم لذلك ضغط الأخبار التى تنقل برقياً ، وضغط نفقات الموظفين كذلك .

تواجه وكالات الأنباء صعوبة أخرى ، وهى أنه من المستحيل أن تحصل الوكالة على إيراد محلى يغطى نفقات الاحتفاظ بمكتب كبير هناك . وقد أشار مدير إحدى الوكالات إلى أن صحف العراق والأردن ولبنان والإقليم الشمالى من الجمهورية العربية وحتى إيران لا تستطيع أن تدفع أكثر من عشرين جنيها فى الشهر لوكالة الأنباء ، وكثير منها لا يشترك فى أية وكالة ، وإنما تحصل على أنباء العالم من الإذاعات الأجنبية .

ثم إن أجور البرقيات والمكالمات التليفونية اليومية تكلف وكالات الأنباء كثيراً . وأجور البرقيات تختلف من بلد إلى آخر فى الشرق الأوسط . وتعتبر الأجور فى بعضها أعلى أجور فى العالم .

ويستطيع المراسل الذى يبرق من عدن ، مثلا ، أن يستفيد من رخص أجور البرقيات الصحفية فى بلاد الكومنولث البريطانى إذا كانت برقياته مرسلة إلى لندن : أما إذا كانت برقياته مرسلة إلى باريس فإن الأجر يزيد بنحو ٥ بنسات . وإذا كانت مرسلة إلى هامبورج دفع ٨ بنسات

زيادة . وإذا كانت مرسلة إلى نيويورك دفع ٣ بنسات زيادة . ويزيد الأجر زيادة كبيرة كذلك إذا رغب المراسل فى إرسال برقيات مستعجلة . وهو يدفع ٦٨ سنتاً للكلمة الواحدة فى البرقيات المرسلة من بغداد إلى روما .

من ذلك نجد أن هناك تفاوتاً فى أجور البرقيات مع العلم بأنه يوجد اتفاق دولى يجعل أساس الأجر المشترك هو الفرنك الذهب . ولكن هذا الاتفاق غير معمول به بالفعل فى كثير من الدول ، لأن كل دولة تترك حرة فى فرض ما تشاء من ضرائب على أجور البرقيات . وكثير من الدول تلجأ إلى زيادة إيرادها من أجور البرقيات من غير أن تكلف نفسها إخطار اتحاد الاتصالات البرقية الدولى ، وإن كانت غير مجبرة على ذلك .

وتصعب المقارنة بين أجور البرقيات من بلد إلى آخر فى منطقة واحدة لوجود اتفاقات ثنائية فى نطاق الاتفاق الدولى العام . ولذلك كان أجر البرقيات الصحفية بين طهران وباريس ، وبينها وبين روما ، وهامبورج ودلهى الجديدة ثلث الأجر التجارى العادى . كما يقل أجر البرقيات الصحفية بين طهران ولندن ، وبينها وبين نيويورك عن خمس الأجر العادى نتيجة لوجود اتفاقات ثنائية بين إيران من جهة ، وتلك الدول المشار إليها من جهة أخرى . وهناك اتفاق ثنائى بين إيران والولايات المتحدة يخفض أجور البرقيات

الصحفية المستعجلة بين البلدين إلى نصف الأجر التجارى العادى .

وبرغم أن من أهداف الاتحاد الدولى للاتصالات التلغرافية حث الحكومات على خفض تعريفة البرقيات إلا أنها لا تملك إلا أن توصى بذلك . وقد عقدت تلك الحكومات مؤتمرين دوليين فى السنوات العشر الماضية لم تزد على أن تعلن على أثرهما بأن الدول الأعضاء تعترف بضرورة تجنب فرض ضرائب إضافية على أجور البرقيات ، ولكن قرارات المؤتمرين لم تخرج إلى حيز التنفيذ .

وطالما ظلت أجور البرقيات مرتفعة فى الشرق الأوسط على هذا النحو فإنها ستؤثر فى كمية الأخبار المرسلة من المنطقة إلى الخارج. وقد قال مدير إحدى وكالات الأنباء إن أجور البرقيات المرتفعة هى العامل الرئيسى الذى يمنع من تدفق الأنباء تدفقاً كاملا من بلاد الشرق الأوسط إلى الهند .

وتتحكم أجور البرقيات كذلك فى المعلومات التفسيرية التى تضاف إلى أخبار الأحداث الهامة . وهنا يقدم كنجزبيرى سمث Kingsbary Smith المدير العام لوكالة الأنباء الدولية فى أوربا مثلا من تجاربه الشخصية فى الاجتماع الذى عقده معهد الصحافة الدولى فى لندن فى مايو سنة ١٩٥٣ . وكان سمث هو الذى نقل أخبار النزاع الإيرانى البريطانى حول البترول . فقال أنه فى إحدى المرات

التى قطعت فيها المحادثات الجارية يومئذ بين البلدين وجد أن الضغط على مكاتب التلغراف فى طهران شديد بحيث قدر أن رسالته ستتأخر نحو ٢٦ ساعة على الأقل .

ولابد من الالتجاء فى هذه الحالة إلى البرقيات المستعجلة التى يبلغ أجر الكلمة الواحدة فيها ٧٥ سنتاً . ولذلك لم يجد مفراً من أن يكتفى بالخبر المجرد ويترك أمر التفاصيل للقسم الخارجى فى نيويورك . ويقول مراسل بريطانى آخر عن نفس الفترة أنه كان يرسل كل يوم برقيات يبلغ مجموع كلماتها ١٥٠٠ كلمة من طهران أو عبدان إلى لندن مستخدماً البرقيات المستعجلة بسعر ٣ شلن للكلمة الواحدة ؛ وذلك لأن البرقيات المستعجلة كانت الوسيلة الوحيدة لضمان وصول الأخبار قبل صدور الجرائد الصباحية فى لندن ؛ وإن كانت هذه الوسيلة لم تمنع من تأخير البرقيات إلى اليوم الثانى .

وسائل الاتصالات التلغرافية

وصف أكثر مراسلى الصحف ووكالات الأنباء نظام الاتصالات التلغرافية واللاسلكية فى بلاد الشرق الأوسط بأنه جيد من الناحية الفنية ؛ وإن كانت شبكة الاتصالات تضطرب اضطراباً واضحاً عندما يتوجه عدد كبير من المراسلين الى مركز ضعيف الإمكانيات يرسلون منه برقيات تتعلق بحادث هام .

وهنا قال أحد المراسلين الأمريكيين : عندما يحدث هذا ، يصبح الإرسال فى ذاته أمراً لا يطاق ، حتى فى مدينة حديثة كطهران عندما يضغط ٧٥ مراسلا على الخطوط ، يصبح من المستحيل الحصول على خط تلغرافى إلى نيويورك قبل مضى ٢٤ ساعة .

واستطرد المراسل الأمريكى يقول : فى مثل تلك الحالة تلجأ وكالات الأنباء والصحف الكبرى التى لديها المال الكثير إلى الحصول على مكالمة تليفونية مع لندن ، وتحتفظ بالخط مدة طويلة . أما المراسلون الآخرون فليس أمامهم إذ ذاك إلا البرقيات المستعجلة ، أو البريد الجوى الذى يصل نيويورك بعد أسبوع .

وقد لاحظ مدير إحدى وكالات الأنباء أن صعوبة الاتصال التليفونى بين القاهرة وأى بلد من البلاد العربية يؤثر فى عمل وكالات الأنباء تأثيراً خطيراً .

على أن من المحتمل تحسين الإمكانيات الفنية . فقد أوصى مجلس اتحاد الاتصالات السلكية واللاسلكية الدولى فى يونيو سنة ١٩٥٢ لجانه الاستشارية الثلاث (التلغرافية ، والتليفونية واللاسلكية) بإعداد مشروع كامل يربط بلاد الشرق الأوسط وجنوب آسيا بشبكة الخطوط الرئيسية فى أوربا وحوض البحر الأبيض المتوسط بخطوط معدنية ، أو بروابط لاسلكية . وهذا المشروع هو المرحلة الثالثة من مشروع دولى كبير للاتصالات اللاسلكية والسلكية . وأما

المرحلة الأولى والمرحلة الثانية فهما تتصلان بأوربا وحوض البحر الأبيض المتوسط .

ووفقاً للخطة الموضوعة سيتم ربط الشرقين الأوسط والأقصى بأوربا والبحر المتوسط فى أنقرة وعمان والعقبة والقاهرة .

وتستفيد من هذا المشروع فى المرتبة الأولى البلاد الواقعة شرقى منطقة الشرق الأوسط ، وبخاصة أنه فى ظل النظام الحالى لا يوجد اتصال مباشر . ويحتاج المراسل الهندى أن يتصل برقياً ببلاده عن طريق لندن ، وهذا معناه تأخير الأخبار وزيادة نفقاتها .

ومهما يكن من شىء فالتحسينات الفنية لن تزيل العوائق التى تتسبب عن التدخل السياسى الذى جعل مدير إحدى وكالات الأنباء يصف التسهيلات الفنية بأنها سيئة للغاية .

وقد شرح قصده من ذلك بقوله : إنه فى كثير من بلاد الشرق الأوسط يقطع الاتصال التليفونى والتلغرافى واللاسلكى ساعات فى بعض الأحيان ، وفى أوقات الأزمات ليس مستغرباً أن يقطع الاتصال تماماً ، ويعللون ذلك بأنه حدث خلل فى الأجهزة .

ثم إن المراسلين يشكون أيضاً من الضمان المالى الذى يطلب منهم عند استخدام وسائل الاتصالات التى تملكها الحكومة .

ويقول أحدهم إن البطاقات اللاسلكية والتلغرافية فى أمريكا لا تمكن المراسل الذى يحملها من إرسال برقياته فى الشرق الأوسط باستثناء الأردن وقبرص وعدن والمحميات البريطانية فى الخليج الفارسى .

وهذا أحد المراسلين هنا يلفت النظر إلى تحديد ساعات الإرسال ، وأثر هذا التحديد فى استيفاء الأخبار ، ويضرب المثل بالنظام المتبع فى عمان حيث يغلق المركز الرئيسى التلغرافى أبوابه فى ساعة مبكرة فى المساء . وهذا النظام يضر بمصلحة الصحف الصباحية ، وتخسر الأردن كثيراً بسبب هذا التحديد لأن أخبارها لا تصل إلا متأخرة ، ولا تنشرها صحف الصباح الكبرى فى العالم ، وبخاصة إذا علمنا أن المراسل فى إسرائيل يستطيع أن يبرق بأخباره فى أية ساعة من ساعات الليل أو النهار .

ويشكو الكثير من المراسلين كذلك من تقديم الصحفيين والمراسلين الوطنيين على الأجانب . ويقول أحدهم : فى إيران يستطيع المراسل الوطنى أن يتقدم على المراسل الأجنبى بساعات ، ولا شك أن هذا يفتح الباب للرشوة ووسائل الإغراء غير المشروعة .

الفصل السادس

إستيفاء الأخبار

مصادر الأخبار

لا شك إن منطقة الشرق الأوسط إحدى مناطق العالم التى تتولى وكالات الأنباء العالمية نقل أخبارها بصفة رئيسية ، وإن كانت هناك بعض وكالات الأنباء الوطنية التى لها مراسلون فى بعض العواصم الهامة فى المنطقة . وتعمل هذه الوكالات على أن تنقل أخبار المنطقة بطريق مباشر غير معتمدة على وكالات الأنباء العالمية .

ومعروف أن الصحف الأمريكية والبريطانية الكبرى وحدها هى التى يمثلها مراسلون دائمون فى منطقة الشرق الأوسط ؛ ينقلون إليها أخبار المنطقة نقلا منتظما وله حظه من الاستيفاء . وهناك بعض صحف أوربا الغربية والشرق لها مراسلون فى المنطقة . ولكن تلك الصحف لا تجد نفسها مستغنية بفضل هؤلاء المراسلين عن وكالات الأنباء العالمية بحال ما . وسنتكلم عن مصادر الأخبار واحداً واحداً :

من بين ست [1] وكالات أنباء عالمية يمثل خمساً منها هيئة دائمة من المراسلين فى مراكز منطقة الشرق الأوسط الهامة ، أما الوكالة السادسة وهى وكالة الأنباء الدولية فلها مراسلون وطنيون فى المراكز الرئيسية ، وترسل مندوبيها من روما أو من باريس أو من لندن فى حالة وقوع أحداث هامة .

ولوكالات الأنباء الغربية الأربع (إذ ليس لدينا تفاصيل عن وكالة تاس السوفيتية) ، مراسلون فى القاهرة (مصر) حيث توجد مكاتب الوكالات الرئيسية فى الشرق الأوسط ، وفى طهران (إيران) ، وفى تل أبيب أو القدس (إسرائيل) ، وفى بيروت (لبنان) ، وفى بغداد (العراق) ، وفى دمشق (سوريا) ، وفى الخرطوم (السودان) ، وفى عمان (الأردن) . ولروتير والأسوشيتدبرس واليونيتدبرس مندوبون فى عدن ، وبنغازى (ليبيا) ، والبحرين (الخليج الفارسى) . وترسل وكالات الأنباء مندوبيها إلى بعض المدن الكبرى مثل بورسعيد والإسكندرية فى مصر والبصرة فى العراق ، وقد دبرت هذه الوكالات أمرها بحيث تحصل على

(١) الوكالات الست هى : رويتر ، الوكالة الفرنسية ، الاسوشيتدبرس ، وكالة الأنباء الدولية المتحدة ، تاس .

الأخبار من بلاد الجزيرة العربية فى حالة وقوع أحداث تستدعى ذلك .

والوكالة الفرنسية ، هى الوحيدة بين وكالات الأنباء الغربية ، التى تعتمد على مراسلين فرنسيين فى المراكز الرئيسية : القاهرة ، طهران ، القدس ، بغداد ، بيروت ، دمشق . أما فى العواصم الأقل أهمية فتعتمد على مراسلين وطنيين .

أما الوكالات الغربية الأخرى فتعتمد على مراسلين وطنيين دائمين أو مؤقتين. ويرأس مكتب رويتر فى القاهرة موظف بريطانى ؛ ولها مراسلون إنجليز فى طهران ، وعمان ، وعدن . وأعضاء مكتب الأسوشيتدبرس فى القاهرة من الأمريكيين ، ولها مراسلون أمريكيون فى بيروت وطهران . ويرأس مكتب اليونيتدبرس فى القاهرة رجل بريطانى ، ولها مندوب أجنبي فى الطهران ، والبحرين ، والقدس . وفى غير تلك البلاد يمثلها مندوبون وطنيون .

أما عن وكالات الأنباء الوطنية فلوكالة « دوتش برس إجنتور الألمانية مراسلان أحدهما ألمانى فى مصر ، والثانى إسرائيلى فى إسرائيل . ولها مراسلون فى استانبول يزورون البلاد الواقعة فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وإيران . ولوكالة برس ترست أوف إنديا » الهندية مراسل مصرى فى القاهرة ، ومراسل إيرانى فى طهران . وتعمل على أن يكون لها مراسلون فى بغداد ودمشق .

ولوكالة أسوشيتدبرس الباكستانية مراسل باكستانى فى القاهرة. وتفكر فى وضع مراسلين آخرين فى مراكز أخرى فى الشرق الأوسط. وتنوى وكالة أناضولى Anadoly التركية الرسمية وضع مراسلين لها فى الشرق الأوسط، وهناك وكالة أنباء تركية خاصة هى «ترك هابرلر أجنزى Turk Haberler Ajanri لها مراسلون فى عمان وبيروت، والقاهرة ودمشق.

وهناك وكالة أنباء وطنية فى البلاد العربية هى وكالة الأنباء العربية، يملكها بريطانيون، وهى تمثل كذلك وكالة اكتسنج تلغراف، البريطانية، ومكتب الوكالة المركزى فى القاهرة ومدير هذا المكتب بريطانى، وله أفرع فى بيروت، وعمان، وبغداد، ودمشق والقدس، ومندوبون فى عدن، وبنغازى، والخرطوم ومكة المكرمة، وطرابلس [1].

ولإسرائيل وكالة أنباء خاصة هى «جويش تلجرافيك أجنس» ولها مكتبان فى القدس وتل أبيب، وتمد بعض الصحف فى الخارج بأنباء إسرائيل.

وهناك وكالة «ورلد وايد برس سيرفيس» الأمريكية التى حلت محل «أوفر سيز نيوز أجنسى» فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ لها مراسلان وطنيان أولها ينقل أخبار مصر والسودان وليبيا والحبشة. ومقره

---

(١) لم يعد لهذه الوكالة وجود الآن، فقد صفيت بعد العدوان الثلاثى على مصر (المترجم)

القاهرة . والثانى ينقل أخبار لبنان وسوريا والأردن ، والجزيرة العربية ، ومقره بيروت . وتحصل كذلك على أخبار إسرائيل من وقت لآخر وهذه الوكالة لا تنقل الأخبار الصرفة ولكنها تتخصص فى المقالات التفسيرية التى تشرح ما وراء الأخبار الواردة من وكالات الأنباء الأخرى .

ثم إن للوكالات الأقل أهمية فى حرصها على الحصول على أخبار الشرق الأوسط بطريق مباشر ، تدلنا على الاهتمام المتزايد بالمنطقة من جهة ، ويدل من جهة أخرى ، على عدم ارتياح بعض البلاد ، وبخاصة فى الشرق ، إلى استيفاء أخبار المنطقة عن طريق وكالات الأنباء العالمية [1] .

٢ - الصحف

لعل الصحف البريطانية تعتبر أكثر الصحف اعتماداً على مراسليها الخصوصيين فى الشرق الأوسط . ولكن صحف الأقاليم باستثناء ، صحف كيمزلى Kemsley [2] تحصل على أخبار المنطقة من وكالات

(١) أنباء الشرق الأوسط (أ . ش . م) هى الوكالة العربية الأولى التى تعمل فى منطقة الشرق الأوسط ، وتتبادل الأخبار مع عدد من الوكالات العالمية والإقليمية .

(٢) مقر مراسل صحف كيمزلى فى الشرق الأوسط هو جزيرة قبرص التى أصبحت ذات أهمية فى تنقلات المراسلين منذ شطرت الحرب الفلسطينية المنطقة إلى شطرين . وفى قبرص يجد المراسلون الحرية التامة فى الإبراق بأخبارهم التى قد تمنع فى أى مكان آخر فى المنطقة .

الأنباء . وبعض تلك الصحف تأخذ أخبار المنطقة من الصحف اللندنية الكبرى .

والقاهرة هى مقر هيئة مراسلى الصحف البريطانية فى مصر ، ولجريدة « التايمز » Times مراسل دائم فى هذه العاصمة يتجول فى منطقة الشرق الأوسط بانتظام ، وله مساعد إنجليزى يعمل بعض الوقت . ولجريدة ديلى تلجراف « Daily Telegraph » مراسل إنجليزى كذلك فى القاهرة . وهى تغيره بين حين وآخر . وتتميز هذه الصحيفة على غيرها بكمية الأخبار الخاصة بالشرق الأوسط . خلال عام ١٩٥٣ كان لها أربعة مراسلين يعملون ما بين الخرطوم وطهران وفى بعض الأحيان . كان لها خمسة مراسلين يعملون فى وقت واحد . وللديلى ميل Daliy Mail ، والديلى أكسبرس Daily Express مراسلون إنجليز . وللجرائد : الديلى هيرالد والمانشستر جارديان والأوبزرفر مراسلون إنجليز يعملون بعض الوقت . ولجريدة « النيوز كرونيكل » مراسل مصرى يعمل بعض الوقت كذلك .

وأما فى خارج مصر فيقل عدد مراسلى الصحف الخصوصيين وإذا كان مراسلو الصحف البريطانية فى مصر من الإنجليز ، فإن أكثر مراسليها فى إسرائيل من اليهود ؛ وذلك فيما عدا

مراسلي التايمز ، والديلي إكسبرس والمانشستر جارديان فهم من الإنجليز .

وفي العراق تمثل جريدتان إنجليزيتان هما التايمز والنيوز كرونكل تمثيلا مباشراً . إذ أن مراسلي هاتين الجريدتين عضوان في هيئة تحرير جريدة « إراك تايمز » أو إلايمز العراقية التي تصدر في بغداد باللغة الإنجليزية .

ولقد أثرت المشكلات الدبلوماسية بين بريطانيا وإيران في مدى تمثيل الصحف البريطانية في إيران . فليس لتلك الصحف مراسلون دائمون في طهران ، وإن كان لجريدة الديلي تلجراف عدد من المراسلين في هذه المدينة . وتعمل الصحف الأخرى على استيفاء أخبار إيران بواسطة مندوبين وطنيين ، أو عن طريق إرسال مراسليها الموجودين في بعض بلدان الشرق الأوسط إذا دعت الحوادث لذلك . وينقل ثلاثة من المراسلين الوطنيين أخبار إيران إلى خمس من الصحف البريطانية هي : التايمز ، والديلي تلجراف ، والديلي ميل ، والديلي إكسبريس والأوبزرفر .

وفيما عدا مصر وإيران ، والعراق تعتمد الصحف البريطانية ، على عدد من المراسلين غير الدائمين في كل من بيروت ، وعمان والخرطوم وعدن . وهؤلاء المراسلون بعضهم من أهل البلاد وبعضهم الآخر من الإنجليز .

والصحف الأمريكية أقل تمثيلا فى الشرق الأوسط من الصحف البريطانية ؛ وذلك على الرغم من أن جريدة « النيويورك تايمز » الأمريكية تشارك جريدة « الديلى تلجراف » البريطانية فى كثرة المراسلين فى المنطقة، فلجريدة «النيويورك تايمز» هيئتان من المراسلين الأمريكيين ينقلان إليها أخبار العالم العربى وإيران وإسرائيل : وذلك بالإضافة إلى عدد من المندوبين غير الدائمين ينقلون إليها أخبار إسرائيل ولبنان .

ولجريدة « كريستيان ساينس مونتنور » مراسل أمريكى متجول مقره بيروت ، ومراسل مصرى غير دائم فى القاهرة ، ومراسل إسرائيلى غير دائم فى تل أبيب . وذلك فضلا عن أنها تبعث بمراسلين متجولين من وقت لآخر إلى منطقة الشرق الأوسط . وإن كانت لا تلجأ الآن كثيراً إلى سلوك هـــذه الطريقة بعد أن أصبح لها مراسل دائم فى بيروت .

وتعتمد جريدة « النيويورك هيرالد تريبيون » على وكالات الأنباء فى الحصول على أخبار المنطقة ، وإن كان لها مراسلون غير دائمين أكثرهم من الأمريكيين فى بلدان الشرق الأوسط . كما أنها تبعث بمراسلين متجولين من وقت لآخر .

وتفضل جريدة « شيكاغو ديلى نيوز Chicago Daily News أن تستمد أنبـاء الشرق الأوسط من مراسليها الخصوصيين الذين تبعث بهم إلى تلك المنطقة بين حين وآخر ، وتعتمد جريدة « كليفلاند

بلين ديلر Cleveland Plain Dealer على وكالات الأنباء علاوة على مراسل متجول . ولبعض الصحف الأمريكية الأخرى مندوبون هنا وهناك . ولكن الصحافة الأمريكية على وجه العموم تعتمد على وكالات الأنباء فى نقل أخبار عواصم الشرق الأوسط الأقل أهمية . وتمضى فى ذلك أكثر مما تفعل الصحف البريطانية .

أما عن مجلات الأخبار الأسبوعية ، فلكل من مجلتى تايم Time ولايف Life مراسل أمريكى فى بيروت ، ولهما مندوبون غير دائمين فى أماكن أخرى . وللمجلة « نيوزويك » News Week مراسلها الخاص فى القاهرة . وللمجلة « يو إس نيوز أند ورلد ريبورت » مراسل أمريكى فى الشرق الأوسط .

ولكن من الخطأ أن نقدر استيفاء صحيفة لأخبارها عن الشرق الأوسط بعدد مراسليها الموجودين فى المنطقة ، كما علق على ذلك رئيس تحرير إحدى الصحف التى تشتهر باهتمامها بأخبار هذه المنطقة مع قلة ممثليها هنـــاك ، إذ يقول : يصلنا الكثير من الأخبار على مدار السنة ، ونحن ننشر قدراً كافياً من المعلومات التفسيرية . ونحن بالنسبة إلى الشرق الأوسط نحتاج إلى التفسير أكثر مما نحتاج إلى تدفق الأنباء المجردة .

ويصدق هذا التعليق أكثر إذا نظرنا إلى كمية الأخبار التى

تنشرها الصحف الأوربية عن الشرق الأوسط . فقليل منها يعتمد على هيئة دائمة من المراسلين ، ولكن معظمها يعتمد على مراسلين مؤقتين من المقيمين فى تلك المنطقة ، وتحصل على سلسلة من المقالات من المراسلين المتجولين ، كما تحصل على الأخبار والمقالات التى تنشرها بعض الصحف الكبرى تكمل بها ما تأتى به وكالات الأنباء [1] .

إن ازدياد بيع الأخبار الخارجية التى تحصل عليها الصحف الكبرى عن طريق مراسليها الخصوصيين إلى صحف أخرى يعد عاملا هاماً جديداً فى استيفاء أخبار تلك المنطقة فى صحف العالم . « فالنيويورك تايمز » ، مثلا ، تبيع أخبارها الخارجية لـ ٢٩ جريدة فى أمريكا ، وثلاث جرائد فى كندا . ومن عملائها فى الخارج صحف فى أمريكا الجنوبية والوسطى، وفى أوربا، والهند، واليابان . وفى استراليا تحصل وكالة «الأسوشيتدبرس » الاسترالية على أخبار الشرق الأوسط وتوزعها على أكثر صحف استراليا ونيوزيلندا . وتبيع جريدة « التايمز » اللندنية أخبارها الخارجية لنحو ثلاثين صحيفة فى أنحاء العالم كله . وتبيع جريدة « الشيكاغو ديلى نيوز » أخبارها لـ ٤٨ صحيفة فى أمريكا وكندا ، ولوكالة أنباء

(١) يزداد اشتراك الصحف الإقليمية والصحف الصغرى فى الصحف الكبرى للحصول على أخبارها عن الشرق الأوسط .

يابانية ، وتبيع جريدة ديلى الأكسبرس (اللندنية) أخبارها لنحو ٣٠٠ صحيفة فى الخارج . وتبيع جريدة «الأوبزرفر» الأسبوعية أخبارها لنحو ٢٥ صحيفة فى بريطانيا ؛ ونحو ٦٠ صحيفة فى الخارج ؛ منها ٢٣ فى الولايات المتحدة . وفى فرنسا تبيع «ليموند» أخبارها لصحف الأقاليم فى فرنسا ولأكثر صحف أوربا .

نعم — هذا ما تفعله جريدة «ليموند» Le Monde التى تصدر فى باريس ، فلها مراسلون خصوصيون فى بعض مراكز الشرق الأوسط ، لها مندوبون غير رسميين ، وفى مراكز أخرى . وذلك علاوة على ما تحصل عليه من برقيات وكالات الأنباء ، كما تبعث بمراسلين متجولين إلى المنطقة عند وقوع أحداث هامة . وفى سويسرا تعتمد جريدة «نيوز يورخر زيتونج على وكالات الأنباء فى استيفاء أخبار الشرق الأوسط ، وتنشر عرضاً لمشكلات المنطقة بقلم أحد الخبراء المتجولين ، أو بقلم مراسل مقيم فى المنطقة . والغرض من كل ذلك هو استيفاء أخبار المنطقة استيفاء ممتازاً .

وتشترك عدة صحف أوربية فى إرسال مراسلين متجولين أو مقيمين . كما تحصل الصحف الأنجلو سكسونية على مقالات غير منتظمة من الأشخاص المقيمين فى الشرق الأوسط .

ولجريدتى «نيوز أو أنديا» الهنـــدية ، ودون Dawn

الباكستانية مراسلوها الخصوصيين فى منطقة الشرق الأوسط ، وذلك فضلا عن البرقيات التى تأتى من وكالات الأنباء من آن لآخر .

ومهما يكن من شىء فإن المصادر التى تستقى منها الصحف العالمية أخبارها عن الشرق الأوسط مصادر قليلة فى مجموعها إلى حد ما . وبخاصة ما كان منها خارج مصر وإيران وإسرائيل . فأخبار العراق . مثلا ، تصل عن طريق تسعة مراسلين دائمين ومؤقتين : منهم خمسة عراقيون ، وأربعة يعملون فى جريدة « أراك تايمز » . وتأتى أخبار عدن من ستة مراسلين دائمين ومؤقتين : ثلاثة منهم إنجليز ، والثلاثة الآخرون وطنيون . وهناك تسعة مندوبين للصحف الأجنبية فى الأردن كلهم عرب فيما عدا واحد . وفى السودان سبعة مراسلين . ستة منهم سودانيون والسابع إنجليزى . أما فى إسرائيل فهناك ٢٨ مراسلا بين دائم ومؤقت . منهم ٢٢ إسرائيلياً ، وثلاثة إنجليز ، وأمريكيان ، وفرنسى واحد . وفى طهران يوجد سبعة مراسلين يمثلون وكالات الأنباء ؛ منهم أربعة أجانب ، وثلاثة إيرانيون . ويمثل خمس صحف بريطانية ، ومجلتى « لايف » و« تايم » الأمريكيتين وجريدة « الدون » الباكستانية خمسة مندوبين إيرانيين. ولا نقصد بذكر هذه الأعداد أن نقلل من أهمية المراسل الوطنى الذى قد يكون شخصية صحفية مرموقة فى بلده . ولكننا نقصد أن ندلل على شىء واحد فقط هو قلة مصادر الأخبار فى الشرق الأوسط .

الباب الثانى

مآخذ على استيفاء أخبار الشرق الأوسط
فى الصحافة العالمية

الفصل الأول

النقص فى كمية الأخبار

إن «كفاية» استيفاء الصحف لأخبار منطقة من المناطق أمر نسبي : فهو يقاس إلى حيز الأخبار الخارجية فى كل صحيفة ، وإلى كمية الأخبـــار التى يمكن للجريدة أن تحصل عليها ، وإلى الاهتمام بالمنطقة ، وإلى المنافسة بين الأخبار الخارجية وبين الأخبار المحلية ، وبين أخبار منطقة ومنطقة ، وغير ذلك . فالحيز الذى تخصصه الصحف — حتى الكبرى منها ، الأخبار الخارجية — حيز محدود . وإذا استطاعت الصحف أن تزيد من ذلك الحيز فإن قليلين من رؤساء تحرير الصحف يعتبرون أن استيفاء أخبار الشرق الأوسط مسألة تتعلق بالحيز أولا وقبل كل شيء .

وأياً ما كان الأمر ، فمتى قرر رئيس تحرير الجريدة أن أخبار الشرق الأوسط تدخل ضمن نطاق الأخبار التى يحرص على نشرها فى جريدته أصبح السؤال عن «كفاية» الأخبار على النحو التالى : هل تقدم جريدته صورة صادقة وكاملة للشرق الأوسط على قدر ما تسمح به الطبيعة البشرية ، والإمكانيات الفنية التى فى متناوله ؟

أو بعبارة أخرى : هل الأخبار التى تنشر فى الجريدة تفيد القارىء ، أو أنها لا تستحق الحيز الذى نشرت فيه ؟

هذا سؤال ليس من اليسير الإجابة عنه . والإجابة عنه دائماً إجابة شخصية أو نسبية . وقد وجه معهد الصحافة الدولى بزيورخ هذا السؤال إلى رؤساء تحرير الصحف ، ورؤساء الأقسام الخارجية فى هذه الصحف ، وإلى مراسلى الصحف ووكالات الأنباء فى الشرق الأوسط وإلى الصحفيين الذين يعملون فى صحف تصدر باللغات الأجنبية فى المنطقة ، وإلى الشرقيين الذين يقيمون فى الخارج ، وإلى عدد من المختصين ، كأساتذة الجامعات ، والمسئولين ، ورجال السياسة الذين يهتمون بالمنطقة . ولا ننسى أن أكثر الدول الغربية اهتماماً بمنطقة الشرق الأوسط هى بريطانيا ، والولايات المتحدة ، وفرنسا ، وأن وكالات الأنباء العالمية تابعة للدول المذكورة ، والصحف التى تبيع أخبارها للصحف الأخرى تصدر فى تلك الدول أيضاً . لذلك سنقصر كلامنا فى هذا الحيز على مدى استيفاء وكالات أنباء الدول الثلاث وصحفها لأخبار الشرق الأوسط . وقد نجد أنفسنا أمام صعوبة أخرى ، وهى التعارض بين عمل الصحف التى تحرص على أن تكون أخبارها الخارجية شاملة ومطردة يوماً بعد يوم ، وبين الصحف التى تخطف الأخبار الخارجية خطفاً ، وتقدم منها الأخبار المثيرة . وهذا التعارض يجعلنا نقدر استيفاء أخبار الشرق الأوسط تقديرين مختلفين .

أولا : من المحقق ، أن أى إنسان فى بريطانيا أو أمريكا أو فرنسا يهتم اهتماماً حقيقياً بالشرق الأوسط يستطيع أن يحصل على صورة وافية وعادلة لما يحدث هناك ، أو على الأقل لما يحدث فى مراكزه الهامة ، وخاصة فى ميدان السياسة وذلك من خلال عدد غير قليل من الصحف والمجلات التى تصدر فى بلده .

وقد أوضح رئيس تحرير إحدى الصحف الأمريكية أن صحيفته تختار من أخبار الشرق الأوسط بطريقة تشبه ما تفعله المجلات الأسبوعية ، وتوصى مراسليها أن يراعوا هذا فيما ينقلون من أخباره . وقال هذا الرجل : نحن نشعر أنه يجب أن يكون فى أمريكا صحيفة تسجيلية ، مهمتها أن تسجل الحوادث أولا بأول ، وهذا ما تفعله جريدة « النيويورك تايمز » على أكمل وجه وأدقه .

وأيد مراسل إنجليزى القول السابق بقوله : « إن جريدة النيويورك تايمز هى الجريدة الوحيدة التى تستوفى أخبار الشرق الأوسط . وهى تتابع تطوراته الاقتصادية ، والسياسية والاجتماعية وهى تملك الحيز والإمكانيات التى لا تتوافر لغيرها من الصحف . مع أن رسائلها تبدو مملة فى بعض الأحيان إلا أنها تحشد فيها كل الحقائق والآراء المتصلة بالشرق الأوسط ، وهذا هو أقصى المراد من استيفاء جميع الأخبار » .

أما جريدة « التايمز » اللندنية فتقدم هى الأخرى صورة شاملة ومتزنة فى نطاق حيزها المحدود. «والتايمز» تعتبر أن الخبر الذى يأتى من القاهرة لا يقل فى الأهمية عن الأخبار التى تأتى من أية عاصمة أوربية . ولكنها تعنى بالتطورات السياسية قبل غيرها من تطورات الشرق الأوسط . وتشغل أخبار المنطقة جانباً هاماً كذلك من الحيز المخصص للأخبار الخارجية فى جريدة « الديلى تلجراف » .

وفى فرنسا تهتم جريدة « ليموند » بشئون الشرق الأوسط اهتماماً خاصاً . ولقد قدم رئيس تحرير إحدى الصحف الفرنسية قائمة بالصحف والمجلات الإنجليزية التى يستكمل منها معلوماته عن الشرق الأوسط، وهى : جريدة « نيويورك تايمز » ، « والكريستيان ساينس مونيتور » ، « والنيويورك هيرالد تريبيون » ، ومجلة «تايم» فى أمريكا . وجريدة « التايمز » ، والديلى تلجراف ، « والمانشستر جارديان» ، « والأوبزرفر » ، « والإيكونوميست »، ونيوستيفنز » فى انجلترا .

وهناك نقطة جديرة بالنظر أيضاً ؛ وهى أنه قد يتبين لنا أن ترتيبات الصحف للحصول على أخبار الشرق الأوسط تختلف ما بين الصحف التى تعتمد كلية على هيئة كاملة من المراسلين كجريدة « النيويورك تايمز » ، « والديلى تلجراف » ، وبين الصحف التى تعتمد كلية على وكالات الأنباء العالمية ، ولذلك يبدو أن قيمة استيفاء الأخبار

لا تتوقف تماماً على مقدار ما تنفقه الصحف من مال على مراسليها ، بقدر ما يتوقف على طريقة استخدام الصحيفة لما يصل إليها من أخبار من مصادر مختلفة ، أعنى من وكالات الأنباء ، أو من المصادر الدبلوماسية ، أو من المراسلين المتجولين، أو من استعراض الصحف الأخرى . والذى نريد أن نقوله بعد ذلك هو أنه إذا كانت الجريدة تعرف كيف تستفيد من الخدمة التى تقدمها إليها وكالات الأنباء فهنا تستوفى أخبار الشرق الأوسط أحسن استيفاء وأكمله .

والتقدير الثانى الذى نقدر به استيفاء أخبار الشرق الأوسط فى الصحف الأجنبية أنه باستثناء الصحف والمجلات التى ذكرناها نلاحظ نقصاً كبيراً فى أخبار الشرق الأوسط ، فى غيرها من الصحف والمجلات التى لم نشر إليها .

مجمل النقد :

الخلاصة أن أهم ما يؤخذ على الصحف أنها تقدم أخبار الشرق الأوسط على أثر وقوع الأحداث الهامة والأزمات الكبيرة من غير تفسير كاف لها مما يجعل القارىء فى حيرة عند وقوع أزمة جديدة .

وقد صرح أحد المشتركين فى هذا البحث بأن الصحف اعتادت أن تنقل أخبار الأزمات فقط . وكثيراً ما تفاجىء القراء بطائفة من أخبار الشرق الأوسط تبدو كأنها صورة ليس لها خلف ولا ظلال ؛ لأنها رسمت فى فراغ لم تملأه الصحيفة من قبل .

وقال آخر : الحق أن الصحافة الأمريكية لا تقدم صورة صادقة

للشرق الأوسط . أجل — إنها تستوفى أخبار الأحداث الهامة ، ولكنها تهمل ما وراء الأخبار ذات الأثر الكبير فى العلاقات الدولية فى تلك المنطقة .

وقال ثالث : إن عناية الصحافة الفرنسية مقصورة على أخبار الأزمات ،أو الأخبار المثيرة بمعنى أنها لا تعير المشكلات الحقيقية ما كانت تعيره إياها من قبل .

وبالرغم من أن اهتمام القراء يتزايد بمنطقة الشرق الأوسط فإن الصحف تقدم إليهم معلومات ناقصة أو مشوهة ، وإن موقف الصحافة الفرنسية من أنباء الشرق الأوسط ليشبه موقف الجغرافى الذى يصف جغرافية بلد من البلاد فيكتفى بوصف قمم الجبال العالية ولا يتحدث عن الوديان والسهول .

وثم انتقادات أخرى ، بعضها موجه إلى الصحف الكبرى وإلى مراسليها ، وبعضها الآخر موجه إلى الصحف العادية نعرض منها ما يلى :

لا تستوفى أخبار بلدان الشرق الأوسط بدرجة واحدة ، فأخبار مصر وإيران وإسرائيل تستوفى أكثر من استيفاء أخبار العراق ولبنان وسوريا والأردن والسودان وليبيا — تلك البلاد التى لا تجد اهتماماً من الصحافة العالمية إلا إذا وقعت فيها أزمات وأحداث هامة .

ثم إن الأخبار ليست متوازنة من حيث النوع . فالاهتمام كبير بالأخبار السياسية ، وأما أخبـــار التطورات الاقتصادية والاجتماعية التى قد تكمن وراء الأحداث والتطورات السياسية فمهملة . كما أن الأخبار ذات الطابع الإنسانى قليلة أيضاً وناقصة .

كذلك يتّسم استيفاء الأخبار بالتحيز سواء كان هذا التحيز من جانب ناقل الخبر أو من جانب صحيفته ، وهذا التحيز قد يكون لأسباب سياسية ، وقد يكون لأسباب غير سياسية .

بل أن مستوى نقل أخبار المنطقة منخفض فى أكثره . فإن كان مراسلو الصحف ووكالات الأنباء الدائمون (وأكثرهم ليسوا من أهل المنطقة) ذوى كفاءة كانت قلة عددهم من جهة ، واتساع المنطقة التى يعملون فيها من جهة أخرى مؤثرين فى كفاية عملهم . وأكثر من هذا وذاك فإن لم تعوقهم القيود الموجودة فى المنطقة ، فإن قدرتهم يحدها جهلهم بلغاتها وهى العربية والفارسية والعبرية . والمراسلون المتجولون الذين يرسلون إلى المنطقة لنقل أخبار الأحداث الهامة بها يجهلون الكثير عن المنطقة . وتكون النتيجة أنهم كثيراً ما يسعون وراء الأخبار المثيرة فقط ، أما المراسلون المحليون فلا تنتظر منهم الكفاءة لنقص تدريبهم من جهة ، ولخضوعهم لضغط حكوماتهم من جهة ثانية .

الفصل الثانى

النقص فى تفسير الأخبار

يرى المختصون والمراسلون أن تفسير أخبار تخص منطقة « غريبة » كمنطقة الشرق الأوسط أمر أساسى .

وقال أحد المراسلين : يجب الاهتمام بالعوامل التى تمنع من نقل أخبار منطقة الشرق الأوسط على نحو يبعث على الرضى . فهناك اختلاف عميق بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية ، وبين عقلية الغرب ، وعقلية الشرق . وهذا الاختلاف يترك أثره فى شئون الحياة اليومية ، وفى الحياة السياسية ، وانعدام أسس المقارنة بين الشرق والغرب يجعل من الصعب تتبع التطورات السياسية فى الشرق الأوسط . وقد فشل كثير من الصحفيين ذوى الخبرة فى نقل أخباره على نحو كاف ؛ ولذلك فن الواضح أنه بدون تفسير الأخبار تفسيراً أميناً سيظل القارىء الغربى بعيداً عن فهم أخبار الشرق الأوسط ، وبالتالى سيقل اهتمامه بتلك الأخبار .

وقال مراسل آخر قضى فترة طويلة فى تلك المنطقة : يفسد

نقل أخبار الشرق الأوسط عندما يهمل المراسل القيام بالوظيفة الحقة للمراسل ، وهى استخدام ذكائه للوصول إلى ما يمكن أن نسميه « تقدير الموقف » . ويحتاج هذا التقدير تفسير الأخبار التى هى فى حاجة إلى التفسير .

ولنضرب لذلك مثلا : ليس يكفى أن تنقل الخبر الخاص بطالب مصر إلغاء الانتخابات فى مديريتين من مديريات جنوب السودان (فى نوفمبر سنة ١٩٥٣) نقلا مجرداً ، فالبيان المصرى كان يحتاج إلى تفسير وتوضيح حتى يبدو مفهوماً على وجهه الصحيح توضيحاً لوجهة النظر المصرية .

« وهذا الأسلوب فى نقل الأخبار ضرورى ولازم . والصحيفة أو الوكالة التى تلح على مصدرها فى الحصول على كل البيانات بقصد أن تأتى أخبارها دقيقة وموضوعية — تلك الصحيفة أو الوكالة كثيراً ما تفشل فى تقديم الأخبار على نحو سليم . فقد تجعل الظروف من الصعب على المراسل أن يصل إلى مصدر ما للحصول على نقطة يراها ضرورية ويعرف أنها صحيحة ومفيدة .

« إن ماوراء الأخبار ضرورى لتوضيح أخبار الشرق الأوسط فإذا تعذر على وكالة الأنباء تفسير الأخبار تفسيراً صحيحاً ، وإذا لم تثق الصحيفة فى قدرة مراسلها على تقدير أهمية الأحداث والحكم عليها — إذا حدث هذا أصبح لا مفر من ضياع كل ما للخبر من قيمة .

وقد أوضح أحد المشتركين فى البحث صعوبة الحصول على التفسير الكافى للأخبار فى مجال جمع الأخبار .

وقال أحد المختصين الأمريكيين : أستطيع أن أقول بصدد الأخبار المجردة إن وكالات الأنباء تستوفيها ، ولكن القارىء العادى الذى لا يعرف إلا القليل عن الشرق الأوسط لا تطلعه هذه الأخبار المجردة على الحقيقة كلها . خذ مثلا المحاكمات التى أجريت فى القاهرة فى شهرى أكتوبر ونوفمبر من عام ١٩٥٣ ، لمحاكمة بعض المتهمين بالخيانة ، فقد اكتفت الصحف الأمريكية بأخبار الشخصيات الكبيرة ، وكان ينبغى الجمع بين المتهمين ، وظروف الدفاع عنهم . وبين معنى الاتهام الموجه إليهم فى ظل النظام الجديد حتى لا تفهم تلك المحاكمات على أنها نوع من التنكيل بالخصوم .

« وعندما اغتيل الملك عبد الله ملك الأردن استوفت الصحف الأمريكية أخبار الحادث ، ولكنها لم تقدم معلومات كافية عن سلسلة الأسباب التى أدت إلى اغتيال الملك . لا أقول هذا تبريراً لحادث الاغتيال ، ولكن لكى أنبه إلى أن هناك جانباً من جوانب القصة قد أهمل ، بينما استوفى حادث القتل نفسه . ولم يعد للملك عبد الله أهمية فى الأخبار الخاصة بتطورات الأحداث فى الأرض المقدسة ،

مع أن الأسباب التى أدت إلى اغتياله لا تزال قائمة إلى اليوم » .

« وعندما أجبر الملك السابق فاروق على التنازل عن العرش ، وطرد من مصر علم الأمريكيون من صحفهم أن ديكتاتورية عسكرية قبضت على السلطة . وكان من الواضح أن الذى حدث هو انقلاب عسكرى ولكن ما هى الأسباب الكثيرة (عدا فساد الملك) التى أدت إلى إنهاء الملكية فى مصر ؟ لا تعرف شيئاً . وقد خاضت الصحف كثيراً فى قصص غراميات الملك السابق ، وما عثر عليه فى قصوره من صور العرايا ، وكان ذلك من بين الأسباب ، ولكنها لم تكن الأسباب الأساسية التى غيرت وجه الحياة فى مصر » .

« إن أخبار الشرق الأوسط فى الصحف الأمريكية ينقصها الاستيعاب الواعى الناضج للحركات الأساسية التى تمهد لنهضة اقتصادية واجتماعية وسياسية فى تلك المنطقة النابضة بالحياة من مناطق العالم . ويؤيد ما أقوله أنه كثيراً ما تحاط أخبار الشرق الأوسط بجو من أجواء ألف ليلة وليلة . ولن يتيسر لأحد أن يفهم هذا الشرق الأوسط قبل أن يفهم أولا عقلية ساكنيه . وليس من العسير فهم هذه العقلية لأنها تكشف عن نفسها فى الأحداث التى ترويها أخبار المنطقة .

ثم عاق مراسل أمريكى على ذلك بقوله : إن التفسير عنصر أساسى فى استيفاء أخبار الشرق الأوسط ، وهذا التفسير يتطلب معرفة قدر كبير من تاريخ المنطقة وخفاياها وأسرارها . ولسوء الحظ نجد أن الكتب التى تعنى بهذه الأمور قليلة ؛ ولذلك نرى رؤساء تحرير الصحف لا يهتمون بمكانة مصدق فى تاريخ إيران الحديث قدر اهتمامهم بأنه يلبس « البيجاما » ويقضى فى فراشه أكثر الوقت . ولا تجد كثيراً من الناس يهتمون بمعرفة كيف أو لماذا وقعت التطورات الغربية الأخيرة فى بلدان الشرق .

وإذا عجز المراسل عن وضع أخبار الأحداث الهامة فى وضعها الصحيح بين ملابساتها أضحى نقله لأخبار المنطقة ثابتاً لا يتغير ، والذى يعانى من ذلك فى الحقيقة هم العرب والإيرانيون . أما إسرائيل مثلا فلا تخسر شيئاً لأنها دولة جديدة يحكمها رجال ذوو عقليات أوربية ومن السهل على المراسل الأجنبى أن يفهمها .

ولكن من الذى يطلب منه هذا التفسير ؟ من السهل أن نقول أنها وكالات الأنباء كما يحلو لبعض مراسلى الصحف أن يفعلوا ذلك . وقد قال أحدهم — مثلا — : إن الذين يقرأون الصحف التى تعتمد على وكالات الأنباء لا يستطيعون وضع الشرق الأوسط ووضع

تطوره داخل إطار منعزل عن التطور العام الذى يشمل العالم كله .
فالكتابة التفسيرية ضرورية لجعل الخبر الشرقى مفهوماً . وعيب الأخبار التى تروى عن الشرق الأوسط أنها إما وقائع مجردة تنقلها وكالات الأنباء ، وإما أنها أخبار تتحيز للجانب البريطانى ، أو للجانب الإسرائيلى ، أو لجانب شركات البترول الأمريكية وهكذا . وقال آخر : من المؤلم حقاً ألا تستطيع أن تحصل على صورة مترابطة الأجزاء للتطورات فى إسرائيل أو إيران أو أحد البلاد العربية فى فترة طويلة باستعراض برقيات وكالات الأنباء فى تلك الفترة . فتلك البرقيات لا تنصب إلا على الأحداث الكبيرة ، وينقصها التفسير ، وفى جملة واحدة أنها برقيات سطحية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .

والمسألة التى تثير الخلاف هى هل تفسير الأخبار عمل من أعمال الوكالة ؟ وفى الاجتماع الثانى لمعهد الصحافة الدولى الذى عقد فى لندن فى مايو سنة ١٩٥٣ قال والتون كول Walton Cole رئيس وكالة روتر إن عمل وكالة الأنباء الأول ليس فى مد الصحف بالمادة التفسيرية وكفى ، فقد بدا له أن محررى الصحف فى الوقت الحاضر يرغبون رغبة كبيرة فى الحصول على مادة تفسيرية موثوق بها . ووافق آلان جولد Alan Gauld رئيس تحرير وكالة الأسوشيتد برس ، وجورج . ه . بيبال George .H- Pipal المدير العام لوكالة اليونيتدبرس فى أوربا على أن التفسير السليم

يختلف عن التعليقات المعبرة عن آراء كتابها ، وأن التفسير بهذا المعنى الذى يقصده كول هو جزء من عمل وكالة الأنباء ، ولكن المسألة ، كما قال بيدبال مسألة معرفة المقصود بعملية التفسير فى ذاتها.

ويشرح بعضهم نظرة الشك التى ينظر بها بعض رؤساء تحرير الصحف إلى التفسير الذى تقوم به وكالات الأنباء . وقد عبر عن هذا الشك رئيس تحرير إحدى الصحف الإنجليزية فى رده على أسئلة معهد الصحافة الدولى . قال : يجب استبعاد التفسير الذى يأتى عن طريق وكالات الأنباء لأسباب ثلاثة :

أولا : لأن كل وكالة تتبع دولة معينة ؛ ولا تستطيع أن تتخلى عن وطنيتها مما يجعل المرء يشعر أن تفسيرها يعبر عن وجهة نظر أمريكية أو إنجليزية أو فرنسية أو هندية أكثر من أن يكون تفسيراً موضوعياً نزيهاً بالمعنى الصحيح .

ثانياً : لا ينبغى الصحف أن تأخذ التفسير من مصادر مجهولة ، ويجب أن تعرف إسم الشخص الذى كتب التفسير ، وأن تعرف مدى ثقافته ونوعها . وأن تعرف قدرته العقلية ، وأن تعرف عنه ما يجعله يعلم أو لا يعلم ما هو بصدد الكتابة عنه ، وما علة تفسيره . ولذلك من الأفضل أن يتولى مراسل الجريدة الخاص تفسير الأخبار، لجريدته تعرف مواطن الضعف والقوة فيه . وعلى هذا فالتفسير مهمة

ينبغى أن تقوم بها الصحف وحدها ولا تترك لوكالات الأنباء القيام به .

ثالثاً : إن مستوى بعض الذين يعملون فى الشرق الأوسط ليس عالياً ، وهناك بعض الصحفيين المحليين الذين يؤدون أعمالا لوكالات الأنباء ، وتراهم يدسون فى البرقيات بعض الأفكار غير الصحيحة .

ولوكالات الأنباء شكوى عادلة فى ذلك وهى أنها إذا أرسلت موضوعاً يحتوى على قدر يسير من التفسير اللازم فإن التفسير يحذف فى الصحيفة . وقد حدا هذا بوكالات الأنباء إلى حذف التفسير من برقياتها الواردة من الشرق الأوسط اقتصاداً للنفقات ما دامت الصحف ليست فى حاجة إلى هذا التفسير : ويقول رئيس تحرير إحدى الصحف الفرنسية فى هذا الصدد : لما كان هناك قليل من القراء يهتمون بالشرق الأوسط اهتماماً خاصاً فليس من المستغرب أن تتحاشى وكالات الأنباء توزيع بعض المعلومات التى نعرف أنها لا تهم إلا الاخصائيين من الناس فقط .

وهناك مشكلة عملية متصلة بصعوبة التفسير تنشأ عن موقف السلطات الرسمية فى بعض بلدان الشرق الأوسط . فهم يريدون أن كل ما يكتب عن بلادهم . يجب أن يكون فى صالحها أو على الأقل يجب أن يكون محايداً ، وتراهم على استعداد أحياناً أن يتخذوا إجراءات معينة

عند الناقد غير المرغوب فيه . ولقد شكا بعض رؤساء تحرير الصحف من أن المقالات التى ترسلها الوكالات لتفسير الموقف قليلة ، وهى على قلتها ليست وافية بالغرض . وقال أحد المنتقدين إن مثل تلك المقالات تعتمد أساساً على البيانات الحكومية وهى بالتالى عديمة النفع للصحيفة ، ومن نقائصها كذلك أنها كثيراً ما يكتبها المراسلون المحليون ، وهم غير مستعدين أن يتحروا الدقة ، ويستوضحوا النقط الغامضة من الأشخاص المسئولين . ولكن أحد المراسلين سأل سؤالا أصاب به المحز : إلى متى يستطيع المندوب أن يكتب تفسيراً صريحاً ؟ أنك لا تستطيع أن تستمر وقتاً طويلا فى كتابة مثل هذا التفسير وأنت فى أحد بلدان الشرق الأوسط . قد يستطيع المراسل الزائر أن يكتب شيئاً منه ، ولكن إذا أراد أن يبقى فترة طويلة وجد أنه من المستحيل أن يستمر فى كتابته بهذه الطريقة .

وثم صعوبة أخرى سبق أن ذكرناها عند الكلام عن إمكانيات الحصول على الأخبار ؛ وهى أن الكتابات التفسيرية تحتاج إلى حقائق وإحصائيات ليست دائماً فى متناول المراسل لسبب أو لآخر .

الفصل الثالث

التفاوت فى استيفاء الأخبار

جاءت الاقتراحات من كل ناحية بزيادة الاهتمام بما يجرى فى الشرق الأوسط خارج بلدانه الرئيسية وهى مصر وإيران وإسرائيل. فما يؤخذ على الصحافة البريطانية . مثلا ، هو أنها لا تهتم بأخبار السودان بالرغم من أن بريطانيا تفخر أنها خلقت من السودان بلداً جديداً . ومما هو جدير بالذكر أن الرأى العام الإنجليزى عجز عن أن يصل إلى نتائج سليمة فى النزاع بين مصر وبريطانيا خاصاً بمستقبل السودان .

وتطالب الصحافة ، كذلك ، بنشر مزيد من أخبار ليبيا والأردن والعراق وسوريا ولبنان .

وقد بينا من قبل الدواعى التى تدعو إلى التفاوت فى استيفاء الأخبار . فمكاتب وكالات الأنباء الرئيسية موجودة فى القاهرة ، وأكثر مراسلى الصحف الكبرى الدائمين موجودون فى القاهرة أو بيروت . وتهتم الصحف العامة باستيفاء أخبار إيران على قدر ما تسمح به القيود المفروضة هناك . وفى إسرائيل عدد غير قليل

من مراسلي الصحف من الأجانب والوطنيين على السواء . ولنفرض أن وكالات الأنباء استعرضت مدى استيفائها لأخبار الشرق الأوسط؛ فمن حقها أن يسأل ماذا يطلب منها لاستيفاء أخبار البلدان الأقل أهمية . ووكالات الأنباء تسير فى عملها وفق مبدأ شرحه بيبال مدير اليونيتدبرس بقوله : إن وكالات الأنباء أشد الهيئات شعوراً فى العالم بما يحتاج إليه محررو الصحف ويرغبون فيه . وعندما تجد أن موضوعاً بعينه يحظى باهتمام عدد معقول من المحررين تتنافس على الحصول على أخباره ، ولا نجد وكالة أنباء حريصة على تقدم خدمتها الإخبارية تفرض على صحيفة أخباراً من بومباى إذا كان قارىء الصحيفة يهتم أكثر بالأخبار الواردة من برلين أو من عمان أو من الخرطوم .

والأمر يختلف عن ذلك بالنسبة لمراسل الصحيفة فى الشرق . فهو يستطيع أن يزور البلدان الأقل أهمية من وقت لآخر وذلك بالرغم من اتساع رقعة المنطقة التى يعمل فيها . ولكن الاتجاه الغالب أن المراسلين يستقرون فى العواصم الكبرى التى تتوافر فيها وسائل الراحة على زعم أن الأخبار الهامة تصنع فى تلك العواصم . ويقول مراسل أمريكى إن وصول مراسل أجنبى إلى الأردن يبعث على الشك لندرة زيارة المراسلين لهذا البلد . وإذا كان ذهابه إلى هناك لاستيفاء أخبار حادث مثير ، متجاهلا الظروف التى أدت إليه ، سبق إلى

ظن المسئولين هناك أنه لم يأت إلى بلدهم إلا لكى يكتب قصة مثيرة مشوهة ومبالغاً فيها ،وترتب على ذلك أنهم يضعون العراقيل فى طريقه .

وعلق رئيس القسم الخارجى على ذلك فى صحيفة بريطانية بقوله: لا تنتظر أن يترك المراسلون المدن ، ويتجولوا فى الريف ، وهم يفضلون الاعتماد على المعلومات المعدة التى غالباً ما تكون بيانات ونشرات حكومية .

العناية ببعض أنواع الأخبار دون الأخرى :

أعاد بعض المراسلين ما قاله بعضهم من قبل من أن استيفاء الأخبار فى الشرق الأوسط ينصب أولا على الناحية السياسية ، وتهمل الأخبار الاقتصادية والاجتماعية مع أنه كثيراً ما يكون للتطورات السياسية أسباب اقتصادية واجتماعية مباشرة . أما الأخبار ذات الطابع الإنسانى فتكاد تكون معدومة . ونتيجة هذا كله يجد أن الصحف تعطى القارىء صورة غير متوازنة للمنطقة، ولا يحاول المراسلون عادة التوازن إلى تلك الصورة بتوجيه انتباههم إلى الأخبار الأخرى . وحجتهم فى ذلك أن الناس خارج الشرق الأوسط يجدون الحياة فيه عسيرة الفهم .

وقال أحد المراسلين : يفاضل المراسلون بين الأخبار ، ويميلون دائماً إلى الأخبار السياسية ، وأنى أرى أن يخصص حيز للتحليل الاقتصادى ، وأخبار الحياة الثقافية ، وحياة عامة الناس

فى القرى ، وهؤلاء هم سكان الشرق الأوسط الحقيقيون . وأعتقد أن كثيراً من الرسائل التى تطفح بالكراهية ما كانت لتكتب لو أن المراسلين اتصلوا اتصالا مباشراً بجموع الناس فى الريف أو المناطق البعيدة عن العاصمة .

وسنتناول فيما يلى نماذج وأمثلة للأخبار الاقتصادية والاجتماعية الهامة التى أهملها المراسلون أو لم يستوفوها . كما ينبغى على نحو تحقيق استيفاء الأخبار .

الأخبار الاقتصادية

« لم تستوف الصحافة العالمية الأخبار المتصلة بفضائح أخبار فضائح صفقات القطن التى وقعت فى مصر ما بين عامى سنة ١٩٥٠ ، سنة ١٩٥١ إلا فى أحوال نادرة . ولم يركز الانتباه على سوء استغلال سوق القطن إلا بعد سقوط حكومة الوفد ، وإن كانت الأخبار لم تفسر تفسيراً كافياً . مع أن ما حدث فى سوق القطن كان عاملا هاماً ظهر أثره فى التطورات السياسية والاقتصادية التى وقعت فى مصر بعد ذلك

« وفى سنة ١٩٥٢ عندما فشلت الحكومة المصرية فى بيع محصول القطن أدى هذا إلى خلق موقف اقتصادى شبيه بالموقف الذى نجم فى إيران عندما عجزت عن بيع بترولها . وكان لهذا الموقف احتمالات سياسية واضحة . ولكن صحافة العالم لم تمنحه ما يستحق من اهتمام . مع أن مقارنة الحالة فى مصر بالحالة فى إيران كانت فى متناول الصحف جميعاً .

ولم تهتم الصحف بالتطورات الاقتصادية فى العراق — تلك التطورات التى نجمت عن تدفق موارد البترول فيها ، وبعكس ذلك نجد أن الصحف العالمية الكبرى التى تهتم بالشئون الاقتصادية قد غطت أخبار هذه التطورات .

« ولم توجه صحافة العالم اهتماماً يذكر الى تغلغل النفوذ الإقتصادى الألمانى فى أسواق الشرق الأوسط .

« وفى السنوات الأخيرة دأبت الصحافة العالمية على تقديم صورة مشوهة لنمو السكان فى الشرق الأوسط . فمن المعروف أن بلدان الشرق الأوسط تشكو من تضخم السكان . وأن هذه المشكلة تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم .

وكانت الصحف تنشر أحياناً أن خططاً وضعت وأن كثيراً من المشروعات أعدت لمواجهة زيادة السكان ، ولكن تلك الصحف لم تبين أن هذه المشروعات لن تحسن الحال بعد عشر أو خمسة عشر سنة ، وخلال تلك الفترة ستكون المشكلة قد وصلت منتهاها .

« وإذا كان الإقطاع لايزال موجوداً فى بعض بلدان الشرق الأوسط فمن المؤكد أنه فى طريقه الى الزوال . وآية ذلك ماحدث فى مصر وسوريا .

وقد نفذ فى مصر قانون الإصلاح الزراعى، ويجرى الآن توزيع مئات الآلاف من الأفدنة على المعدمين من الفلاحين بعد أن نزعت ملكيتها

من كبار الإقطاعيين من أعضاء الأسرة المالكة السابقة أو من طبقة الباشوات . ومع ذلك فالقضاء على الإقطاع وتوزيع الأراضى على الفلاحين ومشكلة ازدياد السكان وغيرها من المشكلات الحساسة التى تكون دائما سببا فى التغييرات السياسية فى المنطقة لا تجد صداها فى الصحف الأمريكية .

الأخبار الاجتماعية

لم ينشر فى الصحافة العالمية إلا القليل عن أحوال اللاجئين العرب الذين طردتهم اسرائيل من ديارهم ، وهم يعيشون فى خيام فى الصحراء على حدود وطنهم السابق .

« ولم ينشر كذلك إلا القليل عند مدى ترحيب المهاجرين اليهود بوطنهم الجديد ، ولم يذكر شىء عن عودة أربعين ألف مهاجر يهودى من حيث أتوا كما لا ينشر شىء عن الظروف القاسية التى يعيش فى ظلها العرب الموجودون فى إسرائيل .

« ومن المسائل المهملة كذلك الجهود التى تبذل لتقدم التعليم والقضاء على الأمية بشكل يدعو إلى الدهشة ، ومن آثار ذلك انشاء مركز التعليم الأساسى التابع لليونسكو فى أحد أقاليم مصر [١] .

« ولم ينشر الا أقل القليل عن حركات الإصلاح الإجتماعى

---

(١) يريد سرس الليان .

كتحرير المرأة ، وتقدم شئون الصحة العامة في القرى المختلفة . ونحو ذلك .

ومن هذه الموضوعات ماهو أصلح أن يكون موضوعاً لتحقيق صحفي، ومنها ماقد تنظر اليه باعتباره لايهم الا المختصين وانه فوق اهتمامات القارىء العادى .

وقد تساءل أحد المراسلين المصريين عن القدر الذى نشر عن الحركات المتطرفة فى الشرق ، فقيل مثلا أن زعماء عصابات إيران يألفون جماعات سرية وإن آية الله كاشانى هو زعيم تلك الجماعات السرية . ولكن قصة تلك الجماعات الحقيقية لم تنشر . كما أن أخبار حركة الإخوان المسلمين فى مصر لم تستوف من مصادر رسمية موثوق بها وهكذا .

الفصل الرابع

تشويه الأخبار

يجمع الذين اشتركوا فى هذا البحث على أن تشويه أخبار الشرق الأوسط تشويهاً متعمداً لا يقع إلا نادراً فى الصحافة الأجنبية ولكن هؤلاء لاينكرون وقوع التشويه . وهم يردونه إلى سببين رئيسيين :

الأول

أن التشويه قد يصدر عن الجهل من جانب المراسل ، أو يصدر عن عجزه عن الحصول على الوقائع كاملة ، بسبب القيود التى تفرض عليه فى المنطقة .

ولكن من الحق أن يقال إن هذا التشويه البرىء له أسباب يجملها مراسل فرنسى ذو خبرة فيما يلى :

ا — الرغبة فى المبالغة .

ب — نظرة المراسلين إلى ما يقع فى الشرق الأوسط نظرة رومانتيكية خيالية ، يردون فيها الأحداث إلى دوافع شخصية خالصة كحب الانتقام ، والتعصب ونحو ذلك .

حـ — تصوير القوى السرية كالمخابرات الأجنبية والكومنفورم

(الشيوعية) ، والجمعيات الدينية وتجار الأسلحة على أنها المتحكمة في الأحداث في تلك المنطقة .

د — عدم توافر إحصائيات موثوق بها ، أو وقائع وحقائق ونحو ذلك .

ويقول هذا المراسل أن الاهتمام بعنصر الإثارة في الأخبار يؤدى إلى التبسط المخل . وضرب مثلا لذلك بما تفعله الصحف الفرنسيـــة حين تكتفى برد التطورات التى وقعت فى إيران إلى الشيوعية ؛ من غير أن تحاول التفرقة بين آثار الخطط الشيوعية والأمانى الوطنية الحقيقية . ونجم عن هذا أن الرأى العام الفرنسى لم يفهم قط أهمية القومية فى الشرق الأوسط .

ومثل آخر على هذا النوع من التشويه يرويه مراسل إنجليزى فى مصر ، وهو المحاولة المزعومة لقلب حكومة الثورة فى يناير سنة ١٩٥٣ . ويقول ذلك المراسل : حقيقة الأمر أن الثورة كانت تضم رجالا على خلاف معها فتخلصت منهم ، ولكن الصحافة الأجنبية صورت ماحدث أنه محاولة لقلب الحكم . وهناك عاملان ساعدا على التشويه : الأول هو الرقابة التى حالت دون معرفة الحقيقة فى وقت مبكر . والثانى هو رغبة بعض المراسلين الذين جاءوا لزيارة مصر فى ذلك الوقت فى الحصول على قصة مثيرة ، وبخاصة أنهم يمثلون صحف يوم الأحد التى تصدر فى الخارج . وقد تفادى أحدهم الرقابة بأنه غادر مصر وفى ذهنه قصــة مختلقة عن الحادث

نشرها بالفعل فى إحدى صحف يوم الأحد فى بريطانيا .

وذكر أحد المراسلين الأمريكيين أن عدم فهم القوى السياسية المؤثرة فى الشرق الأوسط يعتبر عاملا آخر من عوامل تشويه الأخبار، وقال: من المستحيل مقارنة «الأغلبية» و«القوى» و«الحركات السرية» و«المعارضة» فى المنطقة بما يقابلها فى بلاد الغرب من كل ذلك. ولهذا كثيراً ما يهمل المراسل آراء الجماعات والأحزاب المعارضة، وتأثير التيارات الخفية مع أنها تؤثر فعلاً فى الاتجاهات داخل حكومات الشرق الأوسط، وتحدث تلك الحكومات من التغيرات أكثر مما تفعل القوى الظاهرة . ولكن يبدو أن الثورة المصرية قد لقنت المراسلين الغربيين درساً لن ينسوه . مع أن نقل الأخبار من إيران وسوريا والأردن يدل على أن المراسلين يكتفون بترديد بيانات حكومات تلك البلاد . ويصدق هذا على إسرائيل أيضاً . وهكذا فاجأت الثورة المصرية واستقالة الشيشكلى وابن غوريون العالم الغربى وأخطأت الصحف فى تفسير هذه الأحداث خطأً كبيراً .

الثانى

والسبب الرئيسى الثانى لتشويه الأخبار تشويهاً أكثر خطورة من سابقه . هو تحريف الأخبار تحريفاً متعمداً للتأثير فى القارىء تأثيراً معيناً ، ويرد هذا التحريف المتعمد إما إلى تحامل المراسل نفسه ، أو إلى سياسة جريدته .

والمثل الأول الذى قدمه المختصون الإنجليز قصة « رحلة

صلاح سالم إلى السودان ، وأهمية هذه القصة ترجع إما إلى رغبة المراسل فى خلق عنوان مثير، وإما كدافع سياسى نحو تصوير مسلك المصريين فى السودان بأنه مسلك معيب .

زار الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى السابق السودان فى صيف عام ١٩٥٣ قبيل إجراء الانتخابات هناك . وفى الجنوب اشترك صلاح سالم فى رقصة وطنية أداها كما أداها الوطنيون وهو نصف عار تقريباً . ومن ثم أطلقت عليه بعض الصحف الإنجليزية لقب «الصاغ الراقص» ، وعلق أحد المراقبين الإنجليز على الأثر الذى أحدثته القصة بقوله : من الواضح أن الصحف الإنجليزية لم تكن تجهل أن المسئولين الإنجليز فى السودان كثيراً ما اشتركوا فى الرقصات الوطنية التى يؤديها الوطنيون هناك على أساس أن المشاركة مجاملة للوطنيين . وأضاف آخر قوله : لم يكن العمل الذى قام به الصاغ سالم لائقاً فى نظر الغربيين ، أما فى نظر السودانيين والعرب عامة فلم يكن يختلف عن مشاركة العمدة أو الشيخ أو القسيس للقرويين فى ألعابهم الساذجة .

« وقد نقلت القصة والتعليقات المختلفة عليها إلى السودان ، ونشرت أو أذيعت فى أنحاء العالم العربى . وفسرت كثير من الدوائر مسلك الصحف البريطانية على أنها محاولة من جانب الإنجليز لتشويه سمعة خصومهم بطريقة لا مبرر لها .

والتحيز لا يصدر دائماً إلا عن سياسة الجريدة . وقد أقر كثير من المراسلين أن الجو الذى يعملون فيه مشحون بالعواطف المبالغ فيها عما ينبغى أن يقال . وما ينبغى ألا يقال . فمن الصعب أن يكون استيفاء الأخبار موضوعياً فى البلاد التى استقلت حديثاً أو التى تقف موقفاً عدائياً من الذين كانوا يستعمرونها ، أو فى جو العداء السافر بين العرب واليهود .

وكتب أحد المراسلين الأمريكيين عن أخبار إسرائيل قائلا : يبدو أن الأمريكيين يقدمون صورة شاملة لبلاد الشرق الأوسط باستثناء إسرائيل . . ففى إسرائيل نجد أكثر المراسلين يعطفون عليها باعتبارها بلداً تناضل فى سبيل وجودها . ولذلك يغضون البصر عن الجوانب السيئة فيها . فقليلا ما تقرأ ، شيئاً عن انخفاض مستوى المعيشة فى تلك البلاد وارتفاع الأسعار ، والأسواق السوداء ، وعمال البلدية الموصوفين بالشراسة ، والتفرقة فى المعاملة بين اليهود العرب . وقليلا ما نقرأ عن اليهود من غير العرب ، وعن ضعف العقيدة الدينية ، باستثناء الأقلية المحافظة . وبدلا من هذا كله تقدم الصحافة الأمريكية صورة إسرائيل على أنها بلد يفيض لبناً وعسلا ..!

ويكاد يجمع المراسلون على أن الموضوعات الرئيسية التى يقع فى أخبارها التحريف والتشويه هى النزاع بين بريطانيا ومصر حول مستقبل قاعدة قناة السويس ، وحول السودان . والنزاع بين

بريطانيا وإيران حول البترول . ولقد كانت الصحافة البريطانية تهتم بالنزاع بين العرب واليهود عندما كانت فلسطين تحت الانتداب البريطانى . أما الآن فلا تتحيز لجانب ضد الجانب الآخر (١) .

كما أشار المراسلون الإنجليز إلى الصحف لا تعكس الكراهية الشديدة التى يكنها العرب لإسرائيل ولم يقدر أحد من الساسة الإنجليز أو الصحفيين الإنجليز هذا الشعور حق قدره .

ويقول مراسل إنجليزى مخضرم : إنه مما لاشك فيه أن استيفاء أخبار الشرق الأوسط قد تقدم عن ذى قبل ، على أن هناك بعض الصحف تتصرف تجاه أخبار المنطقة وفقاً لسياسة مرسومة ، وهى تتوقع أن يرسل إليها مراسلوها الأخبار التى تتفق مع تلك السياسة ، أو يهملوا الأخبار التى تتعارض معها أو يقدموها فى أسلوب يجعلها تبدو متفقة مع تلك السياسة . ومن هذا القبيل أن صحيفة بريطانية واسعة الانتشار دأبت على نشر أخبار النزاع المصرى الإنجليزى على نحو يظهر أن المصريين غير أهل للثقة ، وأن أى تسوية تقوم على أساس الجلاء تسوية غير حكيمة .

وعقّب مختص على هذا بقوله : الحق أن الصحف الإنجليزية تقدم

---

(١) هكذا يصف مراسل إنجليزى موقف صحف بلاده من النزاع بين العرب واليهود . ولا شك أن هذا الوصف مبالغ فيه وأنه بعيد عن الحقيقة ؟

المترجمان

صورة دقيقة إلى حد ما لمصر ولإسرائيل عندما تكون مصالح بريطانيا بعيدة عن النزاع . ولكن عندما يمس هذا النزاع شيئاً من المصالح البريطانية تتغير النغمة فيصبح ما ينشر عن البلدين أقرب إلى الدعاية منه إلى الأخبار الصحيحة .

وأضاف مختص انجليزى آخر إلى هذا قوله : يخرج المرء من تتبع أخبار العرب وإسرائيل فى الصحافة الإنجليزية بفكرة أن أخبار العرب نادراً ما تكون فى صالحهم. وليس الخطأ خطأ العرب: فالقصص المثيرة تفوز باهتمام أكثر مما تفوز به شئون العرب الخطيرة . وقد اعتادت الصحف ألا تبرز بيانات قادة العرب وتصريحاتهم وسياستهم إلا إذا كانت تنطوى على هجوم عنيف على بريطانيا .

أما الصحافة الأمريكية فلا يزال النزاع بين العرب وإسرائيل هو أكثر الموضوعات خضوعاً للتحيز فيها . وترتب على اهتمام أمريكا المتزايد بشئون الشرق الأوسط أن هناك عدداً من الموضوعات أصبح يثير مشاعر قوية لدى الأمريكيين . ويقول خبير من خبرائهم أن أخبار الشرق الأوسط فى الصحف الأمريكية يشوبها التحيز للسياسة الأمريكية ، أو الشعور المعادى لبريطانيا والاستعمار ؛ أو الميل إلى إسرائيل ، ونحو ذلك .

وقال أحد المراسلين الأمريكيين فى صراحة تامة : إن ممارسة فرض القيود على الصحافة لا وجود لها فى الشرق الأوسط ، ولكنها توجد فقط فى أمريكا . فمن المحقق أن رؤساء تحرير الصحف الأمريكية بدون

استثناء لا ينشرون الحقيقة عن النزاع بين العرب وإسرائيل خوفاً من النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة .

وعلق مراسل أمريكى آخر : لا تجد إلا القليل من الصحف الأمريكية التى تبرأ من التحيز فى معالجتها لأخبار الشرق الأوسط . ففيما يختص بأخبار العرب التى ينطوى على معارضة لسياسة الغرب أو تهديداً لمصالحه نجد أن الصحف الأمريكية لا تعرض هذه الأخبار عرضاً سليما ، وإن كانت لا تهملها . أما إذا كانت الأخبار تنطوى على تشابه بين سياسة العرب وسياسة الغرب ، فكثيراً ما تهملها الصحف الأمريكية .

« فالصحافة الأمريكية تمارس تحريف الأخبار ضد مصلحة دول الشرق الأوسط ، ولقد رأيت أخباراً منشورة فى الصحف الأمريكية تنطوى على تأييد لوجهة نظر حكومات الشرق الأوسط ، ولكننى وجدت تلك الأخبار تحمل عناوين مضللة ، وتخالف ماجاء فى الخبر نفسه . فالمراسل قال الحقيقة فى برقيته ، ولكن الصحيفة تعمدت وضع عنوان يخالف تلك الحقيقة .

« فمثلا إذا جاء خبر من تل أبيب يتهم الغرب بعدوان على الحدود ، جعل عنوانه بالخط العريض سواء كان الخبر يشغل عموداً أو أكثر من عمود . ويحدث العكس عندما يأتى خبر من الأردن يتهم إسرائيل بالقيام بالعدوان . فلن ينشر خبر الأردن على أكثر

من عمود ، وبعنوان بالبنط الصغير لا يلفت النظر . وإذا كانت الصحف الأمريكية تقف هـذا الموقف المعيب من أخبار العرب وإسرائيل فكيف يتوقع المراسلون الأمريكيون أو تتوقع الصحف الأمريكية أن يظهر المسئولون العرب ودهم لهم وارتياحهم لهذا التحيز الظاهر؟ وقد تحتج الصحف الأمريكية بأنها أبرزت مذبحة القبية التى راح ضحيتها عدد غير قليل من العرب . ولـكن مذبحة القبية لم يكن من اليسير التستر عليها أو إهمالها أو التقليل من بشاعتها بحال ما .

ويرى مراقب أمريكى أن الصحافة الأمريكية تحيزت للجانب البريطانى فى النزاع بين بريطانيا وإيران حول البترول ، وقال هذا المراقب : يعرف أكثر القراء الأمريكيين أن الحكومة الإيرانية استولت على ممتلـكات شركة البترول الإيرانية الإنجليزية . ويعرف أكثرهم بعض عادات مصدق غير المألوفة ، ولـكن قل أن تجد أمريكياً يقول لك أن صحيفته كشفت له عن حقائق النزاع بين إيران وبريطانيا . وأكثر قراء الصحف الأمريكية يعرفون أن حزب تودة فى إيران إما خاضع للتوجيه الشيوعى وإما خاضع للسيطرة الشيوعية . ولـكن قليلا منهم من يعرف الأسباب الحقيقية التى أدت إلى ظهور حزب كحزب تودة الذى نشير إليه .

« ومرة ثانية ، قرأ أكثر الأمريكيين شيئاً فى صحفهم عن اقتراح الحكومة الأمريكية بإنشاء (قيـادة) دفاعية فى الشرق

الأوسط ، ولكن قل أن شرحت جريدة أمريكية الأسباب التى من أجلها عارض زعماء الشرق الأوسط فى إنشاء هذه القيادة . وكان يجدر بالصحف الأمريكية — محافظة منها على تقليدها المأثور بذكر جانبى القصة — كان يجدر بها أن تحاول أن تعرف ، ولو من باب الفضول ، لماذا عارض زعماء الشرق الأوسط مشروعاً أمريكياً فى هذا الشأن .

« أنا لا أعتقد أن صحيفة أمريكية أو مراسلا أمريكياً يشوه عن عمد أخبار الشرق الأوسط ، ولكننى أرى أن الصحف الأمريكية تستوفى أخبار الشرق الأوسط بطريقة ساذجة غير متوازنة فى أكثر الأحيان . فمثلا رأيت الصحف والمجلات الأمريكية تذكر تقدم دولة إسرائيل كما جاء فى الذكرى الأولى والثانية والثالثة لقيام هذه الدولة ، ولكن يبدو أنه لم يخطر قط ببال أحد المسئولين فى الصحافة الأمريكية أن التقدم ليس وقفاً على دولة واحدة . ويخيل إلىّ أنه لابد أن يسأل مراسل أو رئيس تحرير نفسه هذا السؤال ويحاول الإجابة عنه : ما التقدم الذى حققته الدول العربية فى الفترة التى انقضت منذ قيام إسرائيل ؟

ويقول أحد المراسلين الفرنسيين : إن تشويهاً له دلالته يقع فى الصحف الفرنسية عندما تنشر أخباراً تتناول أحداث لبنان وسوريا ،

والسبب هو المرارة التى خلفها تقويض النفوذ الفرنسى فى هذين البلدين العربيين .

وقال مراسل فرنسى آخر : أن تشويه الصورة العامة للشرق الأوسط فى بعض الصحف الفرنسية يرجع إلى التحيز السياسى . يرى أن أسباب هذا التحيز الرئيسية هى :

ا ـــ اعتقاد بعض الصحف أن لليهود الحق فى إنشاء وطن لهم بسبب الاضطهاد الذى وقع عليهم فى أوربا . وهذا الاعتقاد يجعل الصحف الفرنسية تقف موقف المدافع عن إسرائيل دائماً .

ب ـــ عطف فرنسا الطبيعى على الدول الاستعمارية الكبرى فى نزاعها مع البلاد التى تسعى لاستكمال استقلالها . ولذلك نجد أن الصحف الفرنسية كلها باستثناء الصحف اليسارية المتطرفة ناصرت بريطانيا فى نزاعها مع مصر ، وفى نزاعها مع إيران . ومن جهة أخرى نلاحظ أن هناك اتجاهاً جديداً من جانب بعض الصحف المحافظة مثل « الفيجارو » لتعديل هذا الموقف تجاه بلدان شمال أفريقيا ، تأييداً منها إلى حد ما للوطنية فى الشرق الأوسط .

وهناك سبب آخر من أسباب التحيز هو أن أخبار الشرق الأوسط قد تصل عن طريق دبلوماسى بواسطة أشخاص غير محايدين فى الأصل بحكم وظائفهم الدبلوماسية .

وحكومات الشرق الأوسط هى الملومة على كل حال لأنها تغلق

الأبواب الطبيعية أمام الصحفيين المحترفين ، فتدفعهم إلى البحث عن الأخبار فى مكاتب وزارات الخارجية فى الدول الأجنبية. والذى يحدث أن مكاتب الاستعلامات التابعة لتلك الدول الأجنبية ، تقال من شأن وجهة النظر التى لدول الشرق الأوسط . وقد يعمد المراسل الدبلوماسى إلى تصحيح أخبار تلك المكاتب ، ولكن بالرغم من قدرته على ذلك التصحيح تعوزه الخبرة بمنطقة الشرق الأوسط . وتعتبر لندن على الخصوص مصدراً رئيسياً لأخبار الشرق الأوسط لا للصحف البريطانية وحسب ولكن لكثير من الصحف الأجنبية أيضاً . على أن مركز بريطانيا التقليدى فى العالم العربى يحتم عليها أن تجعل وزارة خارجيتها مركزاً هاماً للأخبار . ولكن إذا قدمت صحيفة أوربية ـ وكثيراً ما يحدث هذا ـ أخبار لندن على أنها أخبار الشرق الأوسط الموثوق بها خاطرت بالتأثير على القارىء تأثيراً لاشك فيه !!

ثم إن الأخبار التى تصدر عن مصادر غير وزارة الخارجية أخبار مضللة أيضاً . ولقد عقب مختص انجليزى على ذلك بقوله : فى خلال ربع القرن الذى سبق إنشاء دولة إسرائيل كان الاعتقاد فى بريطانيا وأمريكا أنه يوجد فى فلسطين أراض واسعة يمكن أن تعد لمستوطنين جدد لولا معارضة العرب . ولا ألقى التبعة فى ذلك على الصحافة ؛ فالصحافة إنما حصلت على تلك المعلومات من الذين كان يهمهم أن تقبل وجهة نظر معينة هى هذه الوجهة التى نشير إليها .

« وأنى لأعتقد أن التشويه الذى يقع فى الأخبـــار إنما مرده إلى المصادر التى استقت منها الصحافة هذه الأخبار لا من الصحافة نفسها ما لم تكن الصحافة خاضعة للمصالح الحزبية .

وتحدث بعض المراسلين عن مصدر آخر من مصادر التحيز فى أخبار الشرق الأوسط . ففى شركات البترول مكاتب للعلاقات العامة معدة لمســـاعدة الصحف على أحسن وجه ، وعملها هو إظهار نشاط الشركة فى صورة ملائمة ، ولكن يبدو أن ضغطها على المراسل لإرسال « خبر معين » يتجاوز الحد المعقول فى معظم الأحيان !!

ويقول أحـــد المراسلين ، مثلا ، عن العربية السعودية . إن الطريق الوحيد لدخول هذه البلاد طريق شركة أرامكو . فإذا كنت مقبولا من الشركة صرح لك بالدخول وإلا فلا أمل فى دخولك . وقال آخر : من الصعب الحصول على تأشيرة دخول إلى العربية السعودية . ولا يمكن الحصول عليها إلا بمعونة أرامكو . وإذا مادخل المراسل بواسطة أرامكو وجد نفسه لا يكتب شيئاً إلا ما يلقى القبول عند هذه الشركة !!

ونفس الشىء كان يحدث فى إيران عندما وقع النزاع بين شركة البترول الإيرانية البريطانية والحكومة الإيرانية .

وكتب أحد المراسلين يقول : فى سنة ١٩٥١ والأزمة فى عنفوانها ، واجه المراسلون فى عبدان مصاعب لا قبل لهم بهـا .

ولم يكن فى عبدان مكان ينزل فيه الأجانب اللهم إلا منزل الضيافة التابع لشركة البترول البريطانية الإيرانية . وكانت الشركة تقدم للمراسلين المبيت والأكل والشرب بدون مقابل . وكان الوضع مقبولا للذين يقضون فترة قصيرة هناك . أما الذين قضوا فيها جميع شهور الأزمة فكان من الصعب عليهم أن يظلوا محايدين فى عملهم الصحفى . وإذا اشتهر مراسل بالحيدة فلن ترضى عنه لا الشركة ولا الإيرانيون أنفسهم . ولا يعتقد أحد أن مراسلا يعيش على نفقة الشركة ويظل محايداً بالمعنى الصحيح !

« نعم — الوضع فى عبدان غير مألوف ، ولكنه مثل يوضح إلى أى حد يمكن أن يخضع المراسل للتأثير والإغراء ، وقد بلغ الأمر بالمراسل أنه لم يكن يستطيع أن يلمح أن الإيرانيين أصحاب حق ، وإن الحق كله فى جانب الشركة .

ولعل أشد مايدعو إلى الدهشة والرثاء هو موقف قارىء الجريدة نفسه ، فهو يريد أن يعتقد أن بلاده — أو أنه هو — على حق فى كل نزاع دولى . وهذا الشعور عامل رئيسى فى بريطانيا وقد لعب دوراً بارزاً فى الشرق الأوسط أزماناً طويلة .

وعقب محرر الشئون الخارجية فى إحدى الصحف البريطانية بقوله : عند الغربيين معتقدات راسخة عن بعض بلاد الشرق الأوسط أثرت فى الصحف فجعلتها تختار مما يأتى به المراسلون من أخبار الشرق الأوسط على نحو معين . ففيما يختص بموقف الصحافة البريطانية

من مصر هناك عامل أثر فى هذا الموقف ،وهو التجربة التى مر بها الجنود الإنجليز عندما كانوا فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية . فقد شاهدوا أسوأ جانب فى الحياة المصرية ، ولم يكن هذا الجانب إلا جانباً واحداً من جوانب الصورة .

وأضاف مختص بريطانى إلى كل هذا قوله : لا ينكر أحد أن رجل الشارع فى بريطانيا دهش عندما كان يقرأ الانتقادات التى كان يوجهها المصريون إلى بريطانيا . وهو يذكر كيف دافع الجنود الإنجليز عن مصر ضد هجوم رومل . ثم لم تكن دهشته أقل عندما ظهر أعداء بريطانيا فى الانتخابات التى أجريت فى السودان تلك الانتخابات أرادت بريطانيا أن تخلق بها أمة من العدم . وكذلك يدهش القارىء الإنجليزى عندما يرى سمعة بريطانيا فى الحضيض فى عمان على الرغم من مساعدة بريطانيا للأردن ، وعندما يرى سوريا ولبنان يشاركان بقية الدول العربية فى مهاجمة بريطانيا على الرغم من أن بريطانيا كادت أن تفتقد صداقة فرنسا التقليدية لأنها عملت على إنقاذ سوريا ولبنان من تبعية فرنسا .

ومثل هؤلاء القراء لا يريدون تفسيراً معقداً ، كما يقال عن بريطانيا فى الشرق الأوسط ، ولكنهم يريدون دفاعاً عن وطنهم فى عالم لا يحفظ الجميل [1] .

---

(١) تلك وجهة نظر إنجليزية خالصة لا ينبغى للقارىء العربى أن ينزعج لها أو ينتظر غيرها . (المترجم)

وتطور النزاع بين بريطانيا وإيران حول البترول مثل يوضح هذا الميل عند القراء ، وقد ذكره مختص دافع عن موقف الصحف البريطانية إبان الأزمة . وقال إنه كان من المشكوك فيه أن يفهم القراء الإنجليز من صحفهم الأسس التى تقيم عليها الحكومة الإيرانية طلبها ٤٩مليوناً من الجنيهات من شركة البترول البريطانية الإيرانية . فيكفى أن القراء الإنجليز اعتبروا هذا المبلغ مبالغ فيه جداً . وإليك مثلا آخر : هو الخبر الذى ذاع أن الحكومة الإيرانية كانت ترفض قبول أى ممثل بريطانى يتكلم الفارسية . وقد صدق الرأى العام البريطانى ذلك الخبر مع أنه لم يكن صحيحاً . وذاع هذا الخبر لأنه مثل على ما تؤدى إليه الوطنية الجامحة حين لا تجد الحقائق المجردة قبولا لديها .

الفصل الخامس

اختلاف مستويات الأخبار فى المنطقة

يحصل القارىء المهتم بالشرق الأوسط على قـــدر كاف من الأخبار ء السليمة ء التى تشهد بكفاءة المراسلين الأجانب ذوى الخبرة بالمنطقة . ولكن يجب أن نقرر منذ الآن أن المراسل المثالى للشرق الأوسط لم يوجد بعد . بل يجب أن نقرر كذلك أن الظروف التى تساعده لم تتوافر إلى الآن .

الحق أنه ينبغى أن يكون المراسل المثالى محللا سياسياً من الطراز الأول يستطيع أن يضع يده على الاتجاهات الحقيقية فى منطقة تتشعب فيها الطرق وتلتوى وتقل فيها العلامات الدالة على الطريق . وينبغى أن يكون المراسل كذلك خبيراً بالشئون العسكرية والاقتصادية ويستطيع أن يلتمس الحقيقة عن طريق معلوماته بشأن اتجاهات نمو السكان ، وبشأن الميزانية التى تبدو غير ذات دلالة للشخص العادى . ثم يجب أن يضيف إلى ذخيرته اللغوية العربية والفارسية والعبرية . استيعاباً لتاريخ الشرق الأوسط ، وأن يلم بعقائده الدينية ، وتنظيماته القبلية . ويعجب أحد المراقبين أنه بالرغم من أن هذه المؤهلات

لا وجود لمعظمها فى مراسل الشرق فهناك قدر لا بأس به من الأخبار الصحيحة تنقل الآن من المنطقة .

غير أن النقاد يميزون بين أصناف مختلفة من المراسلين فى الشرق الأوسط . فهناك فارق كبير بين المراسل المجرب الذى يبقى فترة طويلة فى المنطقة وينقل أخبارها على خير وجه ، والمراسل الوطنى الذى لا يعنى إلا بالأخبار التسجيلية الخالصة .

المراسل الزائر

يرى عدد غير قليل من المراسلين أن كفاية عمل المراسل تتأثر بالمدة التى يقضيها فى منطقة الشرق الأوسط تلك المنطقة التى تتميز بجوها الإيحائى . غير أنهم يختلفون فى طول المدة التى يجب أن يقضيها المراسل هناك .

ومن ناحية أخرى قال أحد المراسلين : إنى أرى شخصياً أن التغيير السريع أمر لازم ومفيد . ولا أحبذ بقاء المراسل فى منطقة معينة أكثر من سنتين أو ثلاث سنوات . ولا ينطبق هذا بطبيعة الحال على مديرى مكاتب وكالات الأنباء الذين ثبت نفعهم فى الاتصالات الشخصية فى السنوات الأخيرة .

وقدم مراسل ذو خبرة طويلة فى الشرق الأوسط سبباً قوياً للحد من المدة التى يقضيها المراسل فى المنطقة ، قال :

كثير من المراسلين — وبخاصة من قضى منهم فترة طويلة فى الشرق الأوسط — يفقدون القدرة على وزن الأخبار . فتراهم يهتمون بالتفاصيل التى لا يعنى بها أحد خارج البلد نفسه . ولقد جربت هذا بنفسى وإن كانت وكالات الأنباء تعمل حساباً لهذا العامل .

وهناك ما يقال تبريراً لبقاء المراسل مدة طويلة فى المنطقة ، إذ يرى ما لا يراه زملاؤه القدامى ممن لا تتوافر الدقة لأخبارهم .

وكثيراً ما يوجه المراسلون الدائمون نقدهم إلى المراسلين الذين يفدون إلى المنطقة لتغطية خبر من الأخبار ثم يذهبون من حيث أتوا . ومن غريب ما ينقله أحد المراسلين الإنجليز عن نقل الأخبار فى العالم اليوم ما يقوم به المراسلون الخصوصيون الذين يطوفون حول العالم فى سرعة سعياً وراء الأخبار ، ثم يقدمون لجرائدهم أخباراً ناقصة مضللة . إذ لم تتح لهم الفرصة الكافية للوقوف على حقائق الأمور من جميع نواحيها . والخطأ ليس خطأ المراسل ولكنه خطأ الصحيفة . وقد دأبت على ذلك صحف يوم الأحد الإنجليزية الواسعة الانتشار . وتحذو بعض الصحف الفرنسية حذوها فى ذلك . وقد عانى الشرق الأوسط من هذا كثيراً .

ويرى المراسل نفسه أن تغيير المراسلين من وقت لآخر له نتائج خطيرة وقال : غيرت إحدى الجرائد اللندنية مراسلها فى القاهرة أربع مرات فى مدى سنتين ، وغيرت جريدة أخرى

مراسلها عدة مرات مع أنهـا تحتفظ من الناحية النظرية بمراسل معين فى المنطقة . ولهذا لا يستطيع المراسلون أن يحكموا على موقف هناك حكماً سليماً متعمقاً . ولا ملامة عليهم إذن . ويبدو أن الصحف الشعبية لا تنتظر من مراسليها أن يتاح لهم الوقت الكافى لكى يعرفوا المنطقة التى يوجدون فيها على أحسن وجه . والمراسلون يعلمون أن جولتهم ستكون قصيرة فلا يكلفون أنفسهم مشقة التعرف على المنطقة بشكل أو بآخر .

وعقب مختص أمريكى على هذا بقوله : لدى أكثرية الشعب الأمريكى فكرة خاطئة عن الشرق الأوسط . ومرجع ذلك فى الغالب إلى المراسلين غير الدائمين الذين تبعث بهم الصحف الأمريكية بين الحين والحين . وقل أن تختار الصحيفة مراسلها على أساس معرفته بالمنطقة . وكثيراً ما ترسـل الصحيفة مراسلا شهيراً ليستوفى موضوعاً فى وقت قصير ، ولكن كيف ينتظر من مراسل غربى لا علم له بتقاليد الشرق وفلسفته أن يفسر أخباره لقرائه بعد أيام قليلة يقضيها هناك ؟

مستوى أخبار وكالات الأنباء

من المعترف به على وجه العموم أن مراسلى وكالات الأنباء (الأمريكية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والهندية) يقومون بعملهم

على وجه يبعث على الرضى ، وإن كان ينبغى أن نعترف بالظروف القاسية التى تعمل فيها وكالات الأنباء .

قال أحد المراقبين : يبدو أنه لا يحق لأحد يهتم بجمع الأخبار أن ينتقد وكالات الأنباء ، فالصحف تعتمد عليها اعتماداً كلياً فيما تحتاج إليه من الأخبار والإحصائيات والتصريحات والبيانات وغير ذلك مما لا يجد المراسل الخصوصى وقتاً للحصول عليه أو لا يعرف كيف يحصل عليه . ورجال وكالات الأنباء يعملون عملا شاقاً متصلا لمدة أربع وعشرين ساعة ، ونادراً ما يفوتهم خبر مهما قلت أهميته ، ولكنهم يقعون فى أخطاء من جراء ذلك . فالمنافسة بينهم تحتم عليهم ألا ينفقوا وقتاً طويلا للتثبت من صحة أخبارهم ، ومعنى هذا أن أخبارهم قد تكون ، ناقصة أو قد تكون فيها تفاصيل غير صائبة .

ثم إن حرص وكالات الأنباء على خدمة الصحف لمدها بأخبار مثيرة يجعلها تضحى بأجزاء هامة من الخبر فى سبيل جعله أكثر إثارة . والأشياء التى تنقلها الوكالات من الصحف المحلية لا تختارها على أساس موضوعيتها بقدر ما تختارها على أساس ما فيها من عناصر الإثارة ، لأن هذا من شأنه أن يحقق لها ما ترجوه من حدوث صدى لإخبارها فى العالم .

« ومن عيوب وكالات الأنباء كذلك أنها تسبب المتاعب فى

الفترات التي يشتد فيها التوتر بين بريطانيا وبعض دول الشرق الأوسط . ففي خلال المفاوضات المصرية البريطانية حول السودان وحول مستقبل قاعدة قناة السويس كثيراً ما كانت تتعقد الأمور بين الجانبين نتيجة لما تناقلته بعض وكالات الأنباء آنذاك .

« وبالرغم من هذا الذي قيل في حق وكالات الأنباء فلا شك أنها تؤدي خدمة لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال . ولا شك أنها تؤدي هذه الخدمة بقدر كبير من الكفاية والشمول . فهي تملأ كثيراً من الفراغات التي تنشأ من عجز مراسلي الصحف عن أن يذهبوا إلى كل مكان ليوافوا صحفهم بسيل لا ينقطع من الأخبار .

أجل — لقد اتفقت كلمة كل المشتركين في هذا البحث فيما يختص بوكالات الأنباء في هذا الشأن . واتفقت كلمتهم ، كذلك على أن العيب الملحوظ في عمل وكالات الأنباء مرجعه إلى الاعتماد على المراسلين المحليين في بعض الجهات .

المراسلون المحليون

قال مدير إحدى وكالات الأنباء عن المراسلين المحليين : إن لهم عيوبهم المحتومة . وفيما يلي بعض ما يلقي الضوء على عملهم في وكالات الأنباء .

١ — قل أن يتصف المراسلون المحليون بالموضوعية فيما يتعلق بظروف بلدهم .

٢ — أنهم حريصون على ألا يصطدموا مع السلطات ؛ ولذلك تراهم يجعلون من أنفسهم رقباء على أنفسهم فى كل وقت .

٣ — ليس لديهم مقاييس الغرب التى يقيس بها أهمية الأخبار .

ثم إنهم يعجزون عن تقديم تقارير موثوق بها فى المسائل الاقتصادية . فهم يكتبون مثلا عن مشروعات إقتصادية كتابة مبالغاً فيها دون أن يفكروا فى التثبت من إمكان تنفيذ مثل تلك المشروعات .

٤ — وهم يميلون ميلا شديداً إلى أخذ الأحاديث بغض النظر عن أهمية صاحب الحديث ، أو أهمية الحديث نفسه .

غير إن منطقة الشرق الأوسط يتطلب العمل فيها الاعتماد على المراسل المحلى اعتماداً كبيراً ، وقد يكون هذا المراسل رجل الموقف فى بعض الأحيان . وقد بينا من قبل أنه نظراً لصعوبة الانتقال السريع من بلد إلى آخر فى الشرق الأوسط يترك أمر استيفاء أخبار بعض البلاد إلى المراسلين المحليين فيها . هذا من جهة ومن جهة ثانية نرى أن المراسل الأجنبي قد يجد نفسه فى موقف معقد إذ لا يستطيع أن يدعى أن آراءه صحيحة . ثم من جهة ثالثة نرى أنه فى الفترات التى تتوسط الأزمات يترك أمر استيفاء أخبارها للمراسل المحلى الذى لديه الوقت والقدرة على استيفائها على خير وجه . يعنيه على ذلك إتقانه للغة الإنجليزية .

وعقب صحفى انجليزى عمل مع المراسلين المحليين فترة طويلة بقوله :

« يعيب أكثر المراسلين المحليين خوفهم من حكوماتهم ، وبخاصة إذا كان لديهم موارد أخرى غير العمل الصحفى ، فعندما يحاول المراسل المحلى أن يتحرى الدقة والنزاهة فى أخباره يجد السلطات الرسمية تضغط عليه لإذاعة بعض الأخبار على سبيـــل الدعاية . والمراسل الأجنبي فى مثل هذه الحالة يهمل هذه الدعاية ، فى حين أن المراسل المحلى يخشى أن يفعل شيئاً من ذلك .

« ومن ثم أرى من الضرورى تدريب المراسلين المحليين ، فكثير منهم ليس لديهم أدنى فكرة عن الدقة ، أو حتى عن كيفية كتابة الخبر » .

وقام مراسل آخر بزيارات عديدة لبلدان الشرق الأوسط وقال : إن لأكثر المراسلين المحليين أعمالا أخرى يستمدون منها دخلهم الرئيسى ، وهم ينظرون إلى عملهم مراسلين لصحف أجنبية باعتباره عملا إضافياً . ولقد اكتشفت فى زيارتى الأخيرة أن بعضهم من التفاهة ونقص الخبرة الفنية إلى حد يؤثر على عملهم ويجعله قليل الأهمية .

« ولكن يشفع لهم مع كل ذلك أن عملهم دقيق بطبيعته ، وموقفهم حرج للغاية . يشعرون أنهم بمأمن على أنفسهم إذا ما قصروا نشاطهم على الأخبار الرسمية أو الاجتماعية .

فإذا كان الأمر يتعلق بالآراء والأفكار — باستثناء ماتحويه دعاية حكوماتهم — فإنهم يفكرون مرتين قبل أن يبعثوا بهذه الأفكار إلى

الخارج . وإذا كانت الآراء التى أذاعوها سابقة لأوانها ، أو لم تجد قبولا من السلطات المحلية استبعدوها بسرعة .

« ثم إن أكثر المراسلين المحليين الذين تستخدمهم وكالات الأنباء أو الصحف تنقصهم الخبرة الصحفية . والمراسلون غير الدائمين ينظرون إلى الأمور نظرة عاطفية . وليس لديهم المهارة على إخفاء عواطفهم فيما يكتبون ، على أن الموقف قد تحسن فى السنوات الأخيرة بالنسبة إلى المراسلين المحليين الذين هم موضوع هذا الحديث .

وعقب مراقب إنجليزى ذو خبرة كذلك بقوله : عندما تعتمد جريدة كبرى على مراسل محلى ، إنجليزياً كان أو وطنياً ولكنه ليس صحفياً محترفاً يقع اللبس فى تعبيره عن أشياء وآراء هى فى الواقع انعكاس عن الشائع فى البلد الذى يوجد فيه وليست هى بالآراء المستقلة .

« والحق أن ما يقع من الصحف من قبيل الاستثناء هو القاعدة بالنسبة إلى وكالات الأنباء فى بعض مراكز الشرق الأوسط الهامة . ومن المؤسف حقاً أن سمعة الوكالة الطيبة توضع تحت رحمة المراسل المحلى الذى قد لا يكون قد تعلم بعد الدرس الأول فى عمل وكالة الأنباء ألا وهو الحيدة التامة . فما لا شك فيه أن تسعة أعشار البرقيات المتحيزة تصفّى مما فيها من آثار التحيز وذلك فى أحد مكاتب الوكالة المركزية ، وإن كان بعضها يظل كما هو من غير تنقيح أو تصفية

نعم — ينبغي أن نقول إن هذه الانطباعات العامة تظلم المراسل المحلي الذي يواجه الضغط ، ويبذل كل جهده لتكون روايته الأحداث رواية نزيهة . وفي مثل هذه الحالة يكون عمله خيراً من عمل المراسل الأجنبي .

ومهما يكن من شيء فالإجماع منعقد إلى الآن على تأكيد ضعف العمل الذي يؤديه المراسلون الوطنيون بحيث لا يمكن تجاهل هذا الضعف بحال من الأحوال .

ولهؤلاء المراسلين مع ذلك ميزة كبيرة يؤكدها المختصون الأجانب وهي أنهم يعرفون لغة البلد ، العربية أو الفارسية ، أو العبرية وهي التي يجهلها في معظم الأحيان المراسل الأجنبي .

وهنا يسعنا أن نتكلم عن :

مشكلة اللغة

يختلف رأي المراسلين بصدد الصعوبة الناجمة عن الجهل باللغة العربية ، وإن كان أحد المراسلين القدامى وصف هذه الصعوبة بأنها الحاجز الرئيسي بين الغرب والعالم العربي .

ويزيد من صعوبة هذه المشكلة أن اللغة العربية تتشعب إلى ثلاث لغات ؛ الأولى اللغة الفصحى ؛ لغة القرآن ، وهي اللغة الرسمية كذلك . والثانيه العربية العامية التي تسمعها في الشوارع والأسواق

وهى لغة ليست مكتوبة ولا تعد لهجة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة . فهى لغة لها قواعدها المبسطة ، وفيها كثير من الألفاظ الأجنبية ، وهذه اللغة يسهل على المراسل الأجنبى تعلمها فى وقت قصير : وإن كان لا يفيده تعلمها كثيراً فى عمله الصحفى . وأخبرأهناك «عربية الصحف» . وهى تقف بين الفصحى والعامية ، وإن كانت أقرب إلى الفصحى منها إلى العامية . وهذه اللغة هى التى يجب على المراسل الأجنبى أن يعرفها حتى يستطيع قراءة الصحف المحلية ، ويقف على بيانات الحكومة الرسمية ، ويستمع إلى الخطب والأحاديث . وعلى هذا فقليل من المراسلين الأجانب من يعرف هذه اللغة .

وقد زادت صعوبة مشكلة اللغة فى السنوات الأخيرة ، ففى الماضى كانت اللغتان الإنجليزية والفرنسية تعتبران لغات رسمية فى كثير من دول الشرق الأوسط . ففى مصر ، مثلا ، كانت جريدة «الوقائع» الرسمية فى بعض الأحيان تطبع باللغتين العربية والفرنسية ، وكانت النسخة الفرنسية ترجمة أمينة ودقيقة للنسخة العربية . وإلى الآن تصدر طبعة فرنسية للوقائع المصرية . ولكن لا يعتمد عليها لأنها تختلف كثيراً عن الطبعة العربية . وكثيراً ما تحذف نصوص كاملة من الطبعة الفرنسية . ولا تنشر إلا بعد شهور . ولا شك أن هذا الإهمال صدى للجفاء للغرب .

وفى البنوك والشركات أخذت العربية تحل محل الفرنسية أو

الإنجليزية ، واختفت اللغات الأجنبية من اجتماعات الجمعيات العلمية التى كانت تعد كذلك مصدراً من مصادر الإخبار .

وبذلك أغلق الجهل باللغة العربية الأبواب أمام المراسل الأجنبي ، وإن كان يجتهد فى السعي بكل طريقة ممكنة للوقوف على اتجاهات الرأى العام .

غير أنه ما تزال الصحف التى تصدر فى مصر بإحدى اللغات الأوربية خير مصدر يستقى منه المراسل معلوماته . وهذه الصحف تحاول أن تحتفظ بحيادها وترفعها على المنازعات الحزبية . وهى تنشر تلخيصاً لأهم ما جاء فى الصحف العربية . ولها مندوبوها الخصوصيون فى الوزارات وفى البرلمان . إلا أن الصحف الأوربية تواجه نفس المصاعب التى يواجهها المراسل الأجنبي ؛ ونعنى بها الرقابة والجهل باللغة العربية . علاوة على أن اختيارها للإخبار وطريقة معالجتها لها مرتبطان بحاجة قرائها من الأوربيين المقيمين هناك . ولذلك تراها تجهل مايدور فى مجالات هامة من الحياة العربية ، كالمسرح ، والسينما والآداب ، وحتى الألعاب الرياضية التى لايشترك فيها الأوربيون وتقدم لقرائها ناحية محدودة من نواحى الحياة المحلية . ويعيب الصحف الأوربية ، عند المراسلين ، أن ماتنشره نقلا عن الصحف العربية يظهر متأخراً يوماً كاملا على الأقل .

ومن حسن الحظ أن الصحفيين الذين يعملون فى الصحف

الأوربية يحلون الأخبار والأفكار أكثر مما يظهر فى صحفهم .
ومع هذا فإذا تيسر المراسل الأجنبى الاتصال بهذه الصحف أفاد منها كثيراً .

وهناك مصادر مفيدة للمعلومات تتاح المراسل الأجنبى وهى الملخصات الصحفيـــة التى تهتم الحكومات بإعدادها حتى يتيسر للأجانب عامة ولرجال الصحافة خاصة الاطلاع على أهم ما جاء فى الصحف المحلية . ولكن يعيبها . فى بعض الأحيان أنها تختصر بطريقة مضغوطة جداً ، حتى أنهـا تكتفى بإعطاء فكرة عامة عن محتويات الصحف المحلية ، وقد تكتفى بذكر عناوين الأخبار أو المقالات ، وتهتم بترجمة تصريحات أو أحاديث أو خطب لزعماء كبار . ويعيبها ، كذلك ، أنها تتحيز فيما تقدمه . فهى تنشر تفاصيل مناقشات مجلس جامعة الدول العربية حول مشكلة مراكش ، ولا تشير إلى القرارات التى أصدرها المجلس بشأن العلاقات السياسية بين الدول الأعضاء . أو قد تنشر مقالا لكاتب لا أهمية له لأنه يتحدث عن العلاقات بين العرب وأوربا ، ثم تهمل أشياء هامة لأنها ذات طابع عربى صرف .

وأخيراً يستطيع المراسل أن يطلب من أحد الصحفيين العرب أن يترجم له ماجاء فى الصحف العربية ، وكثيراً مايحدث هذا بالفعل . ومعظم هؤلاء الصحفيين العرب يحتلون مراكز هامة فى الصحف العربية ، ولكن أحدهم لا يستطيع أن يتخلص من الميل إلى توجيه المراسل

وجهة خاصة ، سواء كان هذا الميل شعورياً أو غير شعوري .
وقال أحد المراسلين عن هؤلاء المترجمين : «إن الاعتماد على صحفي عربي لترجمة ماجاء في الصحافة العربية عمل غير مفيد على أي وجه . لأن هؤلاء الصحفيين في الغالب منغمسون في السياسة المحلية ، وهم أحياناً لا يقرأون لك كل ما في الصحف . وفي أحيان أخرى ينقلون إليك أخباراً وإشاعات كاذبة . وهم بطبيعة الحال يخافون السلطات المحلية التي قد تعاقبهم عقاباً شديداً لأمر تنسبه إليهم » .

وحتى إذا وجد المترجم الأمين النزيه من العرب . فلا يزال أمام المراسل صعوبة التمييز بين ما يوثق به وما لا يوثق به مما يقرأه :

وقال أحد المشتركين في هذه الدراسة التي نحن بصددها من المشهود لهم بالعطف على الصحافة العربية : لا يمكن الاعتماد على الصحف العربية إلى حد بعيد . لا لأن العرب تنقصهم الخبرة الصحفية ، فمنهم صحفيون بارزون ، ولكن لعدم تأصل التقاليد الصحفية الصحيحة في نفوسهم ، لأن وطنيتهم الجامحة تجبرهم على ألا يلزموا أنفسهم بالتقيد بالحيدة التامة ، أو التقيد بنشر الوقائع المجردة وبدون صحافة نزيهة محترمة يصعب عمل المراسل الأجنبي في المنطقة وأكثر من هذا أنه متى فقدت الصحافة المحلية احترامها لنفسها وجدت الحكومات من السهل التدخل في شئونها . وبالتالي تتدخل في عمل المراسل الأجنبي نفسه . ويوجد عدد كبير من الصحفيين

فى الشرق الأوسط يدركون هذه الحقيقة ، وينعون على صحافتهم المحلية عجز مقاييسها فى ذلك ، وإن كان هؤلاء الصحفيين لا يزالون أقلية .

على أن سقطات المراسل الذى يجهل العربية قد يكون لها نتائج خطيرة على العلاقات بين الشرق الأوسط والعالم الخارجى . وتنشأ تلك السقطات من الاختلاف العميق بين اللغة العربية واللغات الأوربية. فاللغة العربية لغة بلاغه ، وبيان . ولا تعبر عن الأفكار تعبيراً مجرداً ولذلك تجب العناية بتفسير الجمل العربية الطنانة أو ترجمتها ترجمة دقيقة . فالخطب الحماسية، والقرارات النارية تذوب حماستها وتنطفىء نارها عندما تترجم إلى لغة أوربية . ويتحتم على المراسل أن يفرق بين الكتابات الشعبية التى تنم عن التنصل من التبعات ومن الجهل بالأصول الدبلوماسية المرعية من جهة ، والبيانات والتصريحات التى تقدر نتائجها من جهة أخرى .

والجهل باللغة كذلك يؤثر فى عمل المراسل اليومى ، وقد تحدث مراسل أجنبى ذو خبرة قديمة فى الشرق الأوسط فقال إنه كان يحضر مؤتمرات صحفية تستعمل فيها اللغتان الإنجليزية أو الفرنسية إلى جانب العربية، وكان المتحدث يوجه حديثه بالعربية إلى الصحفيين العرب وينقل إليهم أشياء يقول لهم أنها لا يصح أن تقال فى الخارج .

ولكن يساعد المراسل الأجنبى الذى يجهل العربية أن أكثر زعماء العرب أو كبار المسئولين فيهم يعرفون الفرنسية أو الإنجليزية

أو كليهما ، وإن كان الذي يحدث عند أخذ الأحاديث أن كلا من المحدث أو المندوب يتحدث بالفرنسية التي قد لا تكون لغته الأصلية ويترتب على هذا التبادل من أهمية ما يدور بينهما .

وينبغي أن نذكر كذلك أن مشكلة اللغة تواجه المراسل الشرقي أيضاً ، وهذا مراقب هندي يعقب على ذلك بقوله : إن قليلا من الصحف الهندية تقدم صورة واضحة لمنطقة الشرق الأوسط ، ذلك أن قليلا من مراسليها يعرفون إحدى لغات المنطقة . فينبغي إلا يكتفي المراسل بالحصول على معلوماته وأخباره من كبار المسئولين ومن الصفوة المتعلمة ؛ بل عليه أن يقف على رأى عامة الناس في المقاهي والمساجد والأسواق والأماكن العامة ونحوها .

إدارات الاستعلامات

تشتد الحاجة إلى مكاتب الاستعلامات لتزويد المراسلين بالأخبار والبيانات والمعلومات الرسمية في منطقة كمنطقة الشرق الأوسط تنتشر فيها العربية والفارسية والعبرية . ويجب أن توجد مثل هذه المكاتب في السفارات والمفوضيات الأجنبية . وقد أشاد المراسلون ذوو الخبرة الطويلة بالمنطقة بالمعونة التي تقدمها مكاتب الاستعلامات الأمريكية والإنجليزية .

. قال أحدهم : يرجع كثير من المراسلين إلى السفارتين

الانجليزية والأمريكية ، وإن كان رجال السفارتين يحترسون فى تقديم المعلومات التى يقدمونها للمراسل .

ويرى الصحفيون الذين عملوا فى الشرق الأوسط مابين الحربين العالميتين أنهم لاحظوا تدهوراً فى قيمة العمل الذى تقوم به مكاتب الاستعلامات الإنجليزية بالرغم من أنها المصادر الأجنبية الرئيسية للاستعلامات الرسمية فى الشرق الأوسط بالإضافة إلى مكاتب الاستعلامات الفرنسية .ولخص هذا الموقف مراسل إنجليزى بقوله : قبل الحرب العالمية الأولى كان الاتصال بين السفارات والصحفيين يتم بواسطة السكرتير الشرقى فى كل سفارة ، وقليلا ما كانت السفارات أو المفوضيات تصدر نشرات أو بلاغات رسمية ، وكانت شخصية الموظف المختص هى العامل الهام فى جميع الأعمال المتصلة بالصحافة .

« وفى خلال الحرب العالمية الثانيه أنشأت وزارة الاستعلامات البريطانية مكاتب استعلامات فى سفاراتها ومفوضياتها فى الخارج ، وكان أكثر العاملين فيها من ذوى الخبرة بالصحافة فى الشرق الأوسط ، وكانوا يعرفون كيف يفسرون الظروف ويكشفون السياسة المحلية للمراسلين الأجانب . ولكن مع الزمن وجدوا أنفسهم مشغولين بإعداد النشرات والبلاغات وما إلى ذلك من مشكلات الرقابة

وكانت النتيجة أنهم لم يجدوا الوقت الكافى للاتصال الشخصى بالمراسلين أنفسهم .

« وبعد سنة ١٩٤٥ قللت بريطانيا خدماتها الصحفية فى الشرق الأوسط . ولسوء الحظ انتقل أمر مكاتب الاستعلامات من أيدى الصحفيين المحترفين إلى أيدى موظفى السلك الدبلوماسى الذين قل أن تجد من بينهم من سبق له الاشتغال بالصحافة أو عرف مشكلات الشرق الأوسط الخاصة . وترتب على هذا أن تحولت تلك المكاتب إلى مكاتب للعمل الصحفى الآلى ، وغلب عليها الطابع الرسمى .

آراء رؤساء تحرير الصحف

لعل من أبرز مواطن الضعف فى أخبار الشرق الأوسط فى العالم إنما هو الطريقة المتبعة فى معالجة هذه الأخبار من حيث هى . ولقد بينا من قبل أن قلة مصادر الأخبار المتصلة بهذه المنطقة لا تؤثر فى القيمة الخبرية فقط ، ولا فى معاملة الصحف لها فقط . فإذا كان رئيس القسم الخارجى فى الصحيفة مطلعاً على أحوال المنطقة استطاع أن يوجه مراسلى الجريدة فيها توجيها سليما ، واستطاع أن يوجه سكرتير التحرير المختص بالأخبار الخارجية كيف يحسن معالجة أخبار المنطقة . وهذا كفيل بالقضاء على عيب من أبرز عيوب الاستيفاء فى أخبار الشرق الأوسط ؛ ونعنى به عدم الاستمرار فى تقديم الأخبار من جهة ، وترقيعها فى نفس الوقت من جهة أخرى .

ولإيلام المحرر المختص لضيق الحيز المتروك لأخبار المنطقة فى صحيفته ، أو لعجزها عن الاعتماد على مراسلين خصوصيين لاستيفاء أخبار المنطقة . ولكن الشيء الذى يجب القضاء عليه هو عدم المبالاة فى معاملة أخبار الشرق الأوسط فى بعض الصحف ،

ومتى تم القضاء على هذا الشعور أمكن القضاء على الشعور بعدم المبالاة من جانب القراء كذلك .

ولا شك أن أخبار الشرق الأوسط فى رحلتها الطويلة من المراسل إلى الصحيفة التى تنشر فيها تتعرض لأخطاء شنيعة . ومن أكبر الأمثلة شناعة ما حدث فى صيف سنة ١٩٥٣ عندما وزعت إحدى وكالات الأنباء برقية صادرة من القاهرة خلطت فيها بين الاستعداد للانتخابات العامة فى لبنان وبين حكومة اللواء محمد نجيب فى مصر ؛ وظهر فيها أن المعارضة اللبنانية تتحدى اللواء نجيب !!

جاء فى البرقية ما يلى : سوف تتخذ الحكومة المصرية إجراءات مشددة للمحافظة على الأمن والنظام أثناء المعركة الانتخابية القادمة التى يتوقع بعض المراقبين أن تثير بعض الإضطرابات . وقد دعا السيد كمال جنبلاط زعيم المعارضة (اللبنانية) مرشحى أحزاب المعارضة إلى عقد مؤتمر لبحث الخطط التى تؤدى إلى إرغام وزارة نجيب على الاستقالة . وأمس قررت وزارة نجيب عدم تقديم استقالتها بعد جلســـة عقدتها الوزارة لبحث الأزمة الوزارية التى ترتبت على استقالة السيد رشيد بيضون وزير الدفاع (اللبنانى) . والمعتقد أن البكباشى صلاح سالم رئيس هيئة أركان حرب الجيش طلب من بعض الوزراء الاستقالة لتأكيد حياد الوزارة الكامل خلال المعركة الانتخابية . ولكن الوزراء أخبروا البكباشى صلاح سالم

أنه يتحتم على اللواء نجيب الاستقالة أيضاً . ومن أجل ذلك قرر اللواء نجيب بقاء الوزارة كما هي ، كما قرر السيد بيضون العدول عن استقالته » .

وهذا مثل ظاهر الشناعة شديد التطرف . ولكن ماذا يفعل سكرتير التحرير عندما يجد بين يديه مثل هذا الخلط المعيب ؟ أو يرى هذه التفاصيل التي لا يمكن جمعها في صعيد واحد ؟ نصلاح سالم في ذلك الوقت لم يكن بكباشي ولا رئيس أركان حرب الجيش . ولكنه صاغ ووزير الإرشاد القومي المصري .

وإليك مثلا آخر من أمثلة الخلط والتحريف وقع في خريف عام ١٩٥٣ عندما كانت القاهرة تشهد محاكمات الثورة . فقد أرسل مراسل ألماني برقية إلى جريدته وضع فيها المتهمين في منصة القضاء ، ووضع أعضاء المحكمة في قفص المتهمين . ولفت أحد المراقبين النظر إلى أن الخلط بين الأسماء كثير الحدوث ، ولا تسلم منه كبريات الصحف .

وعلق مراقب إنجليزي على هنا بقوله : إن الأخطاء الشائعة التي تقع فيها الصحف تتضاعف في أخبار الشرق الأوسط . فالصحف العالمية تجهل الدين الإسلامي خاصة ، والثقافة الإسلامية عامة . إذ عندما توفي الملك ابن سعود نشرت إحدى الصحف أن الملك الراحل أعلن مرة أنه يعشق ثلاثة أشياء : النساء . والصلاة .

والعطور . والحقيقة أن ما نسب إلى ابن سعود هو حديث نبوى(١) ، وقد يكون ابن سعود قال فعلا مثل هذا الكلام ، لكن ماذا يظن بمراسل فرنسى نقل عن تشرشل قوله : العلم الناقص أخطر من الجهل المطبق . ومثل هذه الأخطاء ليست بذات أهمية فى ذاتها ، وإنما ترمز إلى عدم الدقة . وقد تسبب بعض المشكلات الدبلوماسية .

وفيما يلى بعض الانتقادات التى وجهت إلى طريقة تناول أخبار الشرق الأوسط فى الصحف :

ا — يطلب رئيس القسم من المراسلين أن يمدوه بالأخبار التى يرى أنها تزيد من الاهتمام بالمنطقة ، كالأخبار التى تتحدث عن روعة الشرق ، وعن المعارك الدموية فيه . وقد يفعل هذا خوفاً من أن تسبقه الصحف المنافسة إلى نشر مثل تلك الأخبار . وقد ضرب أحد المشتركين فى هذا البحث مثلا لأحد المراسلين أضاف إليه سكرتير التحرير تفاصيل مثيرة ولكنها ليس لها حظ من الدقة .

ب — تعتمد كثير من الصحف كما بينا من قبل على مصادر بلادها الدبلوماسية إلى حد يجعل المراسل الدبلوماسى هو المراسل الرئيسى للجريدة فى الشرق الأوسط .

---

(١) نص الحديث النبوى كالآتى : حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب . وقرة عينى الصلاة .

ومثل تلك الصحف تبرر عملها بقلة الأخبار الموثوق بها عن المنطقة ، وكل الذى تفعله هو أنها تجعل وزارة الخارجية المصدر الوحيد للأخبار والتعليق عليها .

حـ ـ جنوح كثير من الصحف إلى كثرة حذف أجزاء هامة من برقيات وكالات الأنباء مما جعل وكالات الأنباء تهمل تزويد الصحافة بالمادة التفسيرية لجميع الأخبار .

د ـ وفى الحالات التى تكون فيها الأخبار دقيقة وغير مشوهة نجد كثيراً تضع لها عناوين مضللة .

آراء رؤساء التحرير فى هذه المآخذ

توسعنا فى بيان الانتقادات الموجهة إلى استيفاء أخبار الشرق الأوسط فى الوقت الحاضر لأن الهدف الذى جعلناه نصب أعيننا فى هذا البحث هو جمع أكبر قدر ممكن من الآراء المتصلة بالموضوع . والتوسع فى النقد على قدر الإمكان .

إلا أنه من المهم أن تعرف رأى رؤساء التحرير فى النقط التى أثيرت ، لأنهم الواسطة بين أخبار وكالات الأنباء من جانب والمراسلين والقراء من جانب آخر .

فقد وافق عدد غير قليل من رؤساء تحرير الصحف على رأى مدير إحدى وكالات الأنباء حين قال إن استيفاء أخبار المنطقة يتناسب مع أهميتها . ولكن أثبت أكثرهم أن المشكلة بعيدة عن تخصصهم . بحيث يصعب عليهم نقدها . ودار التعليق حول النقط الأربع التالية :

١ — كمية الأخبار الواردة :

يرى رؤساء تحرير الصحف الإنجليزية أن كمية الأخبار التى تصلهم مرضية على وجه العموم . ووافقهم على ذلك بعض رؤساء تحرير الصحف الأمريكية والأوربية والهندية . وبعضهم الآخر لم يوافق على ذلك . فقال أحد الهنود إن كمية الأخبار أكثر من اللازم . وقال آخر إن الكمية أقل من اللازم باستثناء الأخبار التى ترد من مراكز الاضطراب فى الشرق الأوسط كطهران والقاهرة . أما باقى أجزاء الشرق الأوسط فلا يكاد يسمع عنها شىء .

وحتى أخبار هذين المركزين الهامين لا تتدفق بانتظام إلا إذا وقعت فيهما أحداث جسام. ويلاحظ عدم انتظام تدفق أنباء المنطقة، كما يلاحظ أن بعض البلدان لا يرد ذكر لها فى الأخبار إذا وقعت فيها تطورات سياسية هامة . فبعد أن نشرت الصحف أخبار تولى الملك الجديد عرش الأردن لم ينشر شىء عما يفعله هذا الملك ، وماذا حدث لأنصار الملك السابق ، وهكذا .

بل إن سوريا والعراق تعتبران كذلك من البلدان المهملة. وقد برز اسم العربية السعودية فى صدر الصفحات الأولى عندما مات الملك ابن السعود، وبعد ذلك أسدل عليها ستار من الصمت. وانتخابات السودان نفسها لم تواظب الصحف الهندية على نشر أخبارها بالرغم من أن أحد الهنود كان رئيس لجنة الانتخابات. وعاب رئيس تحرير إحدى الصحف النرويجية، استيفاء وكالات الأنباء لأخبار مصر وإيران. وشاركه فى هذا رئيس تحرير إحدى الصحف الأمريكية.

٢ — قيمة الأخبار الواردة :

انتقد رؤساء تحرير الصحف قيمة الأخبار الواردة من الشرق الأوسط. وقال رئيس تحرير إحدى الصحف الألمانية: لا تهمنا كمية الأخبار، ولكن أخبار أمريكا وبريطانيا وفرنسا لا تعادلها أخبار أية منطقة فى العالم لأنها أخبار دقيقة ومباشرة وقائمة على الوقائع المجردة. وقال رئيس تحرير من الهند إنى لا أحس بقلة الأخبار الواردة من منطقة الشرق الأوسط، وإن كانت قيمة بعضها مثار خلاف. والصنف الذى أريده من هذه الأخبار قلما يمكن الحصول عليه إلا فى صورة تخمينات قد تبدو دقيقة لأنها تخص منطقة بعيدة عنا. وكتب رئيس تحرير من بريطانيا يقول: إن النقص فى قيمة الأخبار يرجع إلى دوافع المصادر الرسمية وأساليبها المريبة أكثر مما يرجع إلى وكالات الأنباء أو المراسلين المحليين.

٣ – أنواع الأخبار :

اقترح اثنان من رؤساء تحرير الصحف الأمريكية أن تزاد المادة التفسيرية للموضوعات غير السياسية . وقال محرر هندى : قليلا ما ترد إلينا أخبار اجتماعية أو ثقافية أو أخبار ذات طابع إنسانى من الشرق الأوسط ، حتى من مصر وإيران . وانتقد محرر إنجليزى قلة ما تقدمه وكالات الأنباء لتحليل المواقف . والقليل الذى توردە وكالات الأنباء من ذلك ليس سياسياً لأن هذه الوكالات تؤثر السلامة والعافية .

٤ – التحيز فى نقل الأخبار :

اقتصرت هذه الشكوى على الهند وأوربا . وأشار محرر هندى إلى أنه بينما فشلت وكالات الأنباء الغربية فى تقدير الأخبار من وجهة النظر الهندية فإن التحيز الخفى فى كثير من أخبار وكالات الأنباء يظهر بوضوح للمحررين فى الهند لأن الهند نفسها ضحية من ضحايا هذا التحيز .

وقال محرر ألمانى : لم أذهب إلى مصر منذ عام ١٩٤٧ . ولكن لدى إحساساً قوياً أن كثيراً من مراسلى الصحف ووكالات الأنباء ليسوا منزهين أو محايدين كما ينبغى . فمثلا أخبار محاولة الدول العربية مواجهة الغرب بالاتحاد السوفيتى أخبار مبتسرة ولا تتناول صميم المشكلة . ويرى محرر نرويجى أن العالم برغم هذا كله يحصل على صورة

صادقة إلى حد ما عن الشرق الأوسط ، وإن كان التحيز يظهر فى بعض أجزاء الصورة ، وضرب المثل على ذلك بأخبار النزاع بين إيران وبريطانيا حول البترول .

وهو يشعر على وجه العموم أن المراسلين الغربيين يميلون إلى الاعتماد على المصادر الغربية أكثر من غيرها للحصول على كل أخبار المنطقة .

خاتمــــة

إن أى تقدير نقدى لاستيفاء أخبار الشرق الأوسط فى صحف العالم لهو تقدير ناقص ما لم تدخل فى حسابنا المصاعب المختلفة التى تعترض جمع أخبار تلك المنطقة .

وبعض تلك المصاعب راجع إلى طبيعة المنطقة نفسها : كبعد الشقة بين مراكز السكان الرئيسية ، ومتاعب الطقس ، والتعقيد الجنسى ، واختلاف اللغات واللهجات التى يتكلم بها شعوب المنطقة كل هذا رهق المراهق الذى يعمل هناك أشد الإرهاق . وعلاوة على تلك المصاعب فإن مصادر الأخبار المحلية هناك مصادر أولية ساذجة .

وهناك عدد من المصاعب تنشأ عن السياسة المتعمدة من جانب حكومات الشرق الأوسط . تنشأ تلك المصاعب عندما تقرر حكومة من الحكومات منع واقعة من الوصول إلى العالم الخارجى .

وقد يجد أحد المراسلين أنه من الصعب عليه أن يحصل على تأشيرة دخول إلى أحد بلدان الشرق الأوسط ، أو قد يتأخر

حصوله عليها ، أو يمنع من الدخول كلية . وإذا ما دخل البلد وجد من الصعب الانتقال منه إلى بلد آخر تقع فيه أحداث هامة وذلك بسبب المتاعب الناتجة من تأشيرة الخروج . وقد يجد أن تنقلاته داخل البلد مقيدة ، وإنه ممنوع من الذهاب إلى مناطق معينة .

وحتى فى العاصمة لا يجد سبل الحصول على أخبار ميسرة . وكل ما يكتبه يجب عرضه على الرقابة . وقد تؤخر برقياته وقتاً طويلا يجعلها عديمة الفائدة . وحتى إذا أجازت السلطات برقياته وسمحت له بإرسالها إلى الخارج فإنه لا يسلم من لذعات تلك السلطات لأن النص الذى تضمنته برقيته لا يتفق مع النص الذى كانت السلطات ترغب فى أن يصل إلى الخارج .

وهناك عوائق أخرى مختلفة، فالقيود تفرض فى الوقت الذى يترقب العالم فيه أخبار تلك المنطقة لوقوع أحداث خطيرة فيها . وتشتد تلك القيود بنوع خاص على المراسلين المقيمين ، ومن بينهم مندوبو وكالات الأنباء المسئولة عن مد صحف العالم بقدر كبير من أخبار الشرق الأوسط . أما إذا كان المندوب وطنياً فإنه يتعرض لضغط حكومته إذا أقبل على نقل يخضبها .

غير أن أثر القيود محدود ، فهى لا تمنع الأخبار من الوصول إلى الخارج ، وإن كانت تؤخرها عن الوصول فى الوقت المناسب ،

وكثيراً ماتفشل القيود حتى فى تأخير وصول الأخبار إلى الخارج لأن المراسل المقيم لا يعدم الوسيلة للتغلب على الصعوبة التى تواجهه. وإذا لم يستطع التغلب على الصعوبة فهناك المراسل المتجول الذى يكون فى إمكانه تخطى الحدود والاقتراب من المنطقة التى تقع فيها الأحداث . وينجم عن هذا فى كثير من الأحيان أن القصة الإخبارية التى تصل العالم تكون قصة مشوهة تضر الحكومة التى منعت من خروج القصة الصادقة أكثر مما تضر أحداً غيرها .

وهناك صعوبة أخرى تتصل بالتنظيم الإدارى لوكالات الأنباء وتؤثر فى عملها . فالشرق الأوسط يضم أكثر من إثنتى عشرة دولة مستقلة ، ولا تستطيع وكالات الأنباء تحمل نفقات وضع هيئة من المراسلين الأجانب فى كل بلد ، إذ أن النفقات لا تتناسب مع ما ينشر من أخبار الشرق الأوسط فى الصحف التى تتعامل مع وكالات الأنباء . وهذه المشكلة مشكلة عالمية تعانى منها وكالات الأنباء وهى تحاول التغلب عليها باستخدام المراسلين الوطنيين كلما أمكنها ذلك ، وهذا عمل سليم العواقب فى البلاد ذات المستوى الصحفى المرتفع ، ولكن هذا العمل غير مضمون العواقب فى بلدان الشرق الاوسط لانخفاض مستوى الصحافة فيها من ناحية وجموح العاطفة الوطنية من ناحية أخرى .

ثم إن شبكة المواصلات الخارجية فى الشرق الأوسط تسبب بعض المشكلات للمراسلين . ففى أكثر عواصم الشرق الأوسط لا تتحمل

شبكة المواصلات الخارجية هذا الضغط ، إذ عندما تقع أحداث هامة يسارع عدد كبير من المراسلين إلى استيفاء أخبارها . ويؤدى التنافس على الحصول على الخط إلى الاعتماد على البرقيات المستعجلة ذات الأجور المرتفعة التى تضطر المراسل إلى ضغط أخباره وقصرها على الخطوط الرئيسية مهملا الجانب التفسيرى فيها كل الإهمال . وتلجأ الحكومات إلى رفع أجور البرقيات لزيادة إيراداتها وتتعمد عدم وصول الأخبار الكافية عن بلادها إلى الخارج بنفس هذه الطريقة .

وقد بينا الصعوبات الناجمة عن الرقابة وارتفاع نفقات الأخبار والمواصلات الخارجية بالنسبة لوكالات الأنباء لأن أكثرية صحف العالم تعتمد عليها فى الحصول على أخبار الشرق الأوسط . ولا يوجد إلا القليل من الصحف التى تعد على أصابع اليد الواحدة يمكنها استيفاء أخبار المنطقة عن طريق مراسليها الخصوصيين .

وماذا يقال عن مستوى نقل الأخبار من الشرق الأوسط ؟ فرق كل من اشترك فى هذا البحث بين العمل الذى تؤديه الصحف التى تبذل جهوداً صادقة لاستيفاء أخبار المنطقة وبين العمل الذى تؤديه الصحف العالمية التى لا تبذل هذا الجهد .

وتفوق هذا العدد القليل من الصحف يعود إلى كمية الأخبار التى تنشرها ، وإلى مواظبتها على نشر الأخبار ، وإلى المادة التفسيرية ،

والتعليق المستنير على تلك الأخبار . وأهم ما يوجه إليها من نقد أنها تحصر اهتمامها فى الأخبار السياسية فقط ، بل تحصر عنايتها بأخبار بلد أو بلدين من الشرق الأوسط .

ولكن يقابل تلك الصحف صحف عالمية تؤاخذ على سطحية أخبارها ، وعلى نقصها، وتعويلها على الأخبار المثيرة . وأبرز عيوب هذه الصحف ما يلى :

١ — نقص المادة التى تفسر الأخبار ، وتكشف ما وراء الأحداث التى يرد ذكرها فى الأخبار .

٢ — تركيز الاهتمام على مناطق معينة « الجمهورية العربية المتحدة ، وإيران ، وإسرائيل » ، وإهمال المناطق الأخرى « السعودية ، العراق ، لبنان . الأردن » .

٣ — تركيز الاهتمام على الأخبار السياسية دون الأخبار الاقتصادية والاجتماعية التى دائماً ما تكون السبب الرئيسى فى الأحداث السياسية .

٤ — التحيز فى نقل الأخبار والتعليق عليها ، وتشويه تلك الأخبار ، وقد يكون هذا نتيجة الجهل ، أو قد يكون نتيجة سياسة متعمدة .

٥ — قلة الاخبار التى تأتى عن طريق المراسلين الأجانب ذوى الخبرة . وترك استيفاء الجانب الأكبر من الأخبار للمراسلين

المحليين غير الأكفاء ممن يعيب عملهم خوفهم من حكوماتهم أو عاطفتهم الوطنية المتطرفة .

٦ — عجز المراسلين الأجانب عن الوقوف على جوهر المشكلات لجهلهم بلغة البلد .

٧ — ضعف معالجة الأخبار وعرضها والإفادة منها ، وهذا من شأنه أن يقلل من اهتمام المراسل بالحصول على الأخبار .

وقد يظن من التفرقة بين مستوى أخبار الشرق الأوسط فى نسبة قليلة من صحف العالم وبقية الصحف أن الصحف الأولى يتوافر لها المراسلون الخصوصيين بينما لا يتوافر للصحف الأخرى مثل هؤلاء المراسلين . وليس هذا القول صحيحاً على إطلاقه لأنه قد ظهر لنا من قبل أن هناك صحفاً تمثل تمثيلا ممتازاً فى المنطقة ولا تعد من بين الصحف التى يوثق بأخبارها . بينما توجد صحف ليس لها مراسلون على الإطلاق ولها شهرة طيبة فيما يتصل باستيفاء أخبار الشرق الأوسط .

ويمكننا هذا من تقدير الخدمات التى تؤديها وكالات الأنباء ، فبعض الصحف التى ليس لديها مراسلون خصوصيون ويضعف فيها مستوى أخبار الشرق الأوسط تلقى اللوم على وكالات الأنباء . وهذا اتهام باطل لسببين : أولهما أنه يجب أن نسأل عن مصير برقيات وكالات الأنباء التى تصل إلى الصحيفة ، فوكالات الأنباء تشكو من أن

الصحف تلقى بالجانب الأكبر من برقياتها فى سلة المهملات، وثانيهما أنه يجب أن نسأل ماذا تفعل الجريدة لتكملة الأخبار أو الموضوعات التى تأتيها عن طريق وكالات الانباء .

إن الجانب الأكبر من المسئولية يقع على الصحيفة ، ويتوقف على مدى اهتمامها بأخبار الشرق الأوسط ، وطريقة تناولها لتلك الأخبار ، وما تبذله من جهد لتكملة أخبار وكالات الأنباء من مصادر أخرى . وشرح رئيس تحرير إحدى الصحف التى نجحت فى مضمار أخبار الشرق الأوسط ، وكيف يستعين بالتحقيقات والتفسيرات والمقالات لتكملة ما تجىء به وكالات الأنباء ، قال : نحن فى الشرق الأوسط نحتاج إلى التفسير أكثر مما نحتاج إلى تدفق الأنباء -

وإذا كان قوله صحيحاً فالإصلاح المنشود فى مجال أخبار الشرق الأوسط يقوم على المقالات التفسيرية أكثر مما يقوم على الأخبار نفسها.

ويؤيد مراسل إحدى وكالات الأنباء وجهة النظر هذه ، فيقول إن بعض أخبار الشرق الأوسط مما يظهر فى الصحف لا تساوى الحيز الذى كتبت فيه . والصحف التى تحرص على تتبع أخبار التطورات السياسية يوماً بعد يوم تضيع مالها سدًى وهى تستطيع أن تلخص تلك الأخبار كل أسبوع أو حتى كل شهر وخير مثل لذلك المفاوضات التى كانت جارية بين مصر وبريطانيا حول مستقبل قاعدة قناة السويس فكان ما ينشر عنها كل يوم لا يزيد

عن تفصيلات مملة تتكرر يوميا .

وأضاف هذا المراسل قوله أنه يرى أن استيفاء أخبار الشرق الأوسط على الوجه الأكمل يجب أن يتناول المشكلات الآتية بالشرح والإسهاب والتعليق :

ا — نشر التطورات السياسية الهامة فى حينها .

ب — نشر طائفة من المقالات التى تتنـاول موضوعات غير سياسية فى مواعيد ثابتة على أن تتنـاول هذه المقالات التطورات الاجتماعية والفنية .

حـ — رسائل من المراسلين المتجولين .

ولنفرض أننا وافقنا هذا المراسل على مقترحاته فكيف يتيسر الحصول على تلك المواد ؟ فأهم المشكلات المتعلقة باستيفاء الأخبار من الشرق الأوسط هى قلة الصحفيين الموجودين هنـاك والذين يجمعون بين المقدرة الخاصة وبين القدر الضرورى من الحياد .

اقترح المشتركون فى هذا البحث طرقاً متنوعة للتغلب على هذه المشكلة . اقترح بعضهم مثلا أن يطبق نظام التعاون بين الصحف فى استيفاء الأخبار . وهذا النظام معمول به فى أوربا . كما اقترح بعضهم الآخر التوسع فى بيع مقالات الصحفيين المتخصصين الذين

يتجولون فى المنطقة من وقت لآخر ، ولكن بعض المراقبين بينوا أنه لايكفى تنظيم الحصول على المقالات . وأظهروا أنه يمكن الإفادة من الأشخاص الذين يعملون فى وكالات الأنباء وأنهم أدرى بالمنطقة من غيرهم . إلا أن عدد المشكلات التى يتوقع أن يكون المحررون فى الصحيفة على علم بها محدود . وهذا ما جعل المشتركين فى بحث مماثل عن الأخبار من روسيا يحثون المحررين على الاستعانة بالمختصين والخبراء لتفسير الوقائع المجردة التى تتضمنها لأخبار الشرق الأوسط . ففى كل مدينة كبيرة يوجد أقسام للدراسات الشرقية فى جامعاتها . وأساتذة تلك الأقسام يزورون منطقة الشرق الأوسط من حين لآخر . ومن بين هؤلاء من يستطيع أن يكتب مقالات عن الشرق الأوسط للصحف المحلية بالمدينة .

ومن هذه المقترحات نستنبط أن استيفاء أخبار الشرق الأوسط على أكمل وجه يكون بتركيز جهود المراسلين والصحف على المقالات التفسيرية النزيهة البعيدة عن التحيز والتى تلقى الضوء على شعوب المنطقة ومشكلاتها . وبدون تلك المقالات النزيهة تظل الأخبار المجردة مستغلقة على القارىء العادى بل لعلها تكون مضللة له .

وإذا وجدت هذه النصيحة آذاناً واعية فالمعتقد أنها ستساعد فى نهاية الأمر على حل مشكلة استيفاء أخبار الشرق الأوسط — تلك المشكلة التى تثيرها الحكومات الكارهة لكل نقد يوجه لتصرفاتها

من الخارج . ومن الأسباب التى تحتم على الصحف قبول الأمر الواقع فيما يتصل بأخبار الشرق الأوسط بعكس ما تفعل بالنسبة لأخبار المناطق الأخرى شعورها بالموقف العدائى من جانب الحكومات فى المنطقة التى تكره أن تنقل أخبارها نقلا كاملا أميناً . وقد لخص أحد المراسلين هذا الموقف بقوله : من المستحيل فى الوقت الحاضر تفسير أخبار الشرق الأوسط والتعليق عليها تعليقاً صريحاً بدون التعرض للمتاعب التى تأتى من حكومات المنطقة [1] .

والأسباب الواهية التى تستند إليها حكومات المنطقة وتتخذ بها إجراءات مشددة مع الصحفيين تدل على أنهم ليسوا دائماً على حق فى نزاعهم مع الصحفيين . ولكن عدداً غير قليل من المراسلين يقولون إن الأمر على خلاف هذا ، ويؤيدهم فى هذا الرأى رئيس القسم الخارجى فى جريدة إنجليزية عمل مراسلا فى الشرق الأوسط فترة طويلة إذ يقول :

« ازداد نقـــل الأخبار من الشرق الأوسط سوءاً منذ نهاية الحرب العالمية الأخيرة ؛ فهناك أزمة ثقة بين حكومات الشرق الأوسط وصحف العالم ، وليس اللوم كله يقع على كاهل تلك الحكومات . فصحافة العالم تتجاهل المنطقة إلى أن تضطرب الأمور هناك ، وتقع أحداث هامة . ومع هذا فإن تلك الأحداث

---

(1) نعتقد أن المتاعب ، إن جاءت ، فلا تجىء إلا نتيجة للتحيز فى نقل الأخبار ، والتحيز فى التعليق عليها لا العكس . (المترجم)

لا تنقل أخبارها نقلا أميناً بل تحرف الأخبار لمصلحة الدول التى يعنيها الأمر .

« لقد تقدمت المنطقة تقدماً ملحوظاً ، ووقعت فيها تغيرات ثورية فى ربع القرن الأخير ، ولكن صحف العالم لم تعط هذه التغيرات حظها من العناية . فمضت تلك التغيرات ولم يكترث لها أحد حين لم يتح لها المراسلون الأكفاء ذوو الخبرة الذين يستطيعون أن يقدروا تلك التغيرات حق قدرها . فمنذ ربع قرن كان الشرق الأوسط يتخلف عن أوربا بنحو ٥٠٠ سنة ، أما الآن فالثغرة بينهما لا تزيد عن ٧٠ عاماً .

وتوضح الآراء التى ذكرت فى هذا البحث نقلا عن رجال الصحافة أن أزمة الثقة بين حكومات الشرق الأوسط والصحافة العالمية لا تقع مسئوليتها على طرف واحد .

وطالما بقيت تلك الأزمة ، أخذ المراسل يذنب غيره ، وأسوأ من هذا فهو يهدد بالانتقام إذا ما هو كتب الحقيقة كما يراها لأن النقد البرىء فى جو الشك وسوء الظن يعتبر نقداً دفع إليه سوء النية .

والذين عانوا من هذه المشكلة ، وحملوا عليها لا يتوقعون لها

علاجاً سريعاً ، وبخاصة بعد أن ازدادت خطورة النزاع الحالى بين العرب وإسرائيل .

وكما بينا من قبل أن من نتائج حرب فلسطين منع المراسلين من حرية التنقل بين الدول العربية وإسرائيل ولذلك تعذر عليهم أن يحصلوا على صورة متكاملة المنطقة ، ولا تجد الصحف العالمية إزاء هذا مفراً من أن تترك أمر استيفاء أخبار إسرائيل للإسرائيليين أنفسهم ، وترسل مندوبيها الأجانب إلى العالم العربى . ونجم عن هذا اختلاف واضح فى اللهجة بين الأخبار التى ترد من كلا الجانبين وزاد هذا من المرارة التى تملأ نفوس زعماء العرب وشعوبهم .

ولكننا نأمل أن تتحسن ظروف نقل الأخبار إذا ما سويت المشكلات السياسية فى منطقة الشرق الأوسط . وهناك ما يحمل على الاعتقاد أن التجارب قد علمت حكومات تلك المنطقة أن ترك الحرية لتدفق الأنباء من بلادهم أفضل لهم من فرض القيود عليها . والمأمول أن يتحقق هذا تحققاً صحيحاً وكاملا ، فالخاسر الأكبر من القيود التى تفرض على جمع الأخبار هو حكومات الشرق الأوسط وشعوبها وليس غيرهم ؟

تم بعون الله

فهرست الكتاب

صحيفة

للمؤلف ثلاثون كتاباً

فى مجال البحث الأدبى والبحث الصحفى

وهـــذه قائمة الكتب والابحاث الصحفية وحدها

أولا ــ الكتب المنشورة :

	سنة
١ ــ أدب المقالة الصحفية فى مصر الجزء الأول	١٩٥٠
٢ ــ « « « « « الثانى	١٩٥٠
٣ ــ « « « « « الثالث	١٩٥١
٤ ــ « « « « « الرابع	١٩٥١
٥ ــ « « « « « الخامس	١٩٥٢
٦ ــ « « « « « السادس	١٩٥٤
٧ ــ « « « « « السابع	١٩٥٩
٨ ــ الصحافة والأدب فى مصر	١٩٥٥
٩ ــ المدخل فى فن التحرير الصحفى ، الطبعة الاولى ،	١٩٥٦
١٠ ــ مستقبل الصحافة فى مصر	١٩٥٧

سنة

١١ — الصحافة المصرية فى مائة عام — من سلسلة الكتب الثقافية ١٩٦٠

١٢ — أزمة الضمير الصحفى ١٩٦٠

١٣ — أخبار الشرق الاوسط بالاشتراك مع الدكتور وليم الميرى ١٩٦١

ثانياً البحوث الصحفية التى نشرتها هيئات علمية :

١ — أجواء فكرية وسيـــاسية عاش فيها الأدب الحديث والصحافة المصرية

(مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة — ديسمبر ١٩٥٤)

٢ — العقدة الشركسية عند مدرسة الشيخ محمد عبده وأثرها فى صحافة هذه المدرسة (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مايو سنة ١٩٥٦) :

٣ — مستقبل التأهيل الصحفى فى مصر (منشـــورات قسم الصحافة جامعة القاهرة رقم « ١ » سنة ١٩٥٧)

٤ — نشر الوعى الصحفى بالمدرسة (منشورات قسم الصحافة جامعة القاهرة رقم « ٢ » سنة ١٩٥٨ »

٥ ــ السطور الصحفى من أطوار الحركة الوطنية فى مصر (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ــ ديسمبر سنة ١٩٦٠)

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

طبع الغلاف
المطبعة الدولية